

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



الفرع: دراسات أدبية.

التخصص: أدب حديث ومعاصر.

تفاعل المكان والمعرفة في حركة التواصل الرحلاتي "رحلات أبي راس الناصري" أنموذجا

مذكرة تخرج لإستكمال شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي.

من إعداد الطالبتين:

إشراف: الأستاذ الدكتور

● بن سلامة سهام.

● يوسف يوسف

● طيبي شيماء

السنة الجامعية 1445-1446هـ / 2024 - 2025م.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله الحي القيوم أولا وأخيرا وامثالا لقوله صلى الله عليه وسلم:

" من لا يشكر الناس لا يشكر الله "

نتوجه بجزيل الشكر وجميل العرفان للأستاذ " يوسف يوسفى "

الذي تكرم بقبول الإشراف على هذه المذكرة وعلى جميع التوجيهات

والملاحظات والنصائح.

كما لا يفوتنا ان نتقدم بوافر التقدير والاحترام لأعضاء اللجنة المحترمين

على عناء قراءة المذكرة وقبولها وتصويبها.

وكذلك نتقدم بخالص الشكر الى كل أساتذة كلية الآداب واللغات الأجنبية بجامعة

ابن خلدون تيارت والى كل موظفي المكتبة جزاهم الله كل خير.

وفي الاخير نشكر كل من قدم لنا يد العون والمساعدة من قريب او من بعيد ونسأل الله

عز وجل أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم.

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

"وما توفيتي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب."

على طريق الحلم تكون الخطى ثقيل لكن لذة الإلتصار والوصول للنهاية السعيدة

تستحق ذلك التعب أهدي نجاحي وتعب سنيني

إلى من كانوا سببا في وجودي إلى أعلى عطايا الرحمن

إلى أمي الحزن الدافع والدعاء الذي يرافقتني في كل مسيرتي

إلى أبي سندي وقودتي من علمي الصبر والعزيمة حفظهما الله لي .

إلى إخوتي قرة عيني رعاهم الله.

إلى أصدقائي رفاق الدرب.

إلى صديقتي ورفيقتي في كل خطوة ومسار، طاقتي الإيجابية

مشينا دربنا سويا واليوم نكتب النهاية ببداية جديدة.

لكم جميعا، أهدي هذا التخرج

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمي

• بن سلامة سهام.

الإهداء

بسم الله الرحمان الرحيم

إلى أغلي امرأة في الوجود إلى قرة العين جوهرة الفؤاد ، نبع الحنان والعطاء ، إليك أهدي بصمات
مشواري يا أغلي من نفسي أُمي الحبيبة أسمى معاني الحب...
إلى منبع الرجولة وشهامة إلى من علمني الشموخ والطيبة وعزة النفس....
إلى القلب الكبير الذي رعاني وتحمل الكثير لأجلي إلى الذي جعلني أسمى بين الناس ، إليك يا
أغلي من روعي والذي الحبيب أسمى معاني تقدير.....
إلى إخوتي و أخواتي أنتم السند و الرفقة لوجودكم نعمة لا تقدر بثمن أهدي هذا العمل متواضع
إليكم عربون وفاء و تقدير و إمتنان لا يختصر في كلمات
إلى صديقتي أسماء، و داد ، فريال ، فاطمة
إلى من قاسمتني هذا العمل المتواضع بن سلامة سهام وعائلتها كاملة

• طيبي شيما

جدول المختصرات

الصفحة	ص
هجري	هـ
ميلادي	م
الجزء	ج
طبعة	ط
المجلد	مج
تحقيق	تح
ترجمة	تر
دون طبعة	د ط
دون تاريخ	د ت

مقدمة

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، خاتم الأنبياء والصادق الأمين، وعلى آله وصحبه حملة لواء الدين وعلى كل من سلك سبيلهم الى يوم الدين.

إن أدب الرحلة من أهم الأجناس الأدبية التي وثقت العلاقة الحية بين الإنسان والمكان، وذلك من خلال نقل التجربة الحسية والمعرفية للرحالة في تفاعله مع الفضاءات المختلفة، ويزداد هذا الأدب ثراء حين يتحول المكان إلى حافز منتج للمعرفة، ومنصة لحركة تواصل ثقافي وديني واجتماعي.

وقد كان الكاتب الجزائري أبو راس الناصري المعسكري من بين المؤلفين والمؤرخين الذين كتبوا سيرهم الذاتية ورحلاتهم العلمية والمعرفية، وهذا ما جسده في كتاب فته الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته " وهي المدونة التي اشتغلنا عليها في بحثنا المعنون بـ " تفاعل المكان والمعرفة في حركة تواصل رحلي رحلات أبي راس أنموذجا " ساعين للإجابة عن جملة من التساؤلات المتمثلة في:

كيف تفاعل المكان مع المعرفة في الرحلات التي دونها أبو راس الناصري المعسكري، وما أثر هذا التفاعل في تشكيل البنية المعرفية والثقافية لنصوصه الرحلية؟

ما هو المقصود بأدب الرحلة؟ وما خصائصه وعلاقته بالمكان والمعرفة؟، وما هي الأبعاد المعرفية التي سعى أبو راس لتحقيقها من خلال رحلاته؟

وكيف انعكست الأماكن (الدينية، العلمية، والاجتماعية) على مضمون رحلات أبي راس؟ ما نوع المعارف التي أنتجها أبو راس من خلال هذه الرحلات؟

وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لما له من أهمية في تحقيق رغبتنا في تحليل ودراسة رحلات أبي راس ودراسة موضوع الرحلة والكشف عن المضامين الثقافية والاجتماعية التي تخزنها نصوص الرحلة، بما يسهم في فهم أعمق للحركة العلمية والفكرية في الجزائر العثمانية، وما جذبنا انتباهنا قدرة الكتب على تصوير الواقع، ودراسة أثر التفاعل بين البيئات المكانية والمعارف المكتسبة في نصوصه الرحلية.

لقد سارت هذه الدراسة وفق خطة منهجية تتضمن أساسا مقدمة وفصلين وخاتمة وملحق تناولنا في الفصل الأول الإطار النظري والتاريخي، ويتضمن مبحث أول حول أدب الرحلة وعلاقته بالمكان والمعرفة، ومبحث ثاني يسلط الضوء على حياة أبي راس ومسيرته الرحلية. أما الفصل الثاني فيركز على تفاعل المكان والمعرفة في نصوص أبي راس الرحلية، حيث تم تناول المكان كفضاء معرفي (الأمكنة الدينية، العلمية، والاجتماعية)، ثم تم تحليل تجليات المعرفة (الدينية، العلمية، والثقافية) في هذه الرحلات.

وفي الأخير أضفنا ملحقا عن كتاب أبي راس فتح الإله ومنته في تحدث بفضل ربي ونعمته.

وختمنا بحثنا بخاتمة كانت على شكل حوصلت لأهم النتائج التي توصنا إليها من خلال هذا البحث.

ومن خلال دراستنا لهذا الموضوع اعتمدنا على منهجين أولهم المنهج التاريخي الوصفي كمنهج لدراسة واعتمدنا كذلك على المنهج التحليلي كأداة إجرائية في تحديد بعض القضايا في رحلات أبي راس الناصري.

وفي خوضنا غمار هذا البحث إعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع كانت عوناً لنا ومن أهمها:

– فتح الإله في منته في التحدث بفضل ربي ونعمته – حياة أبي راس الذاتية- لمحمد أبو راس الناصري المعسكري.

– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ل مجدي وهبة وكامل مهندس.

– فن الرحلة في الأدب المغربي القديم لزردومي إسماعيل.

– أدب الرحلات عند العرب حتى نهاية القرن الرابع هجري لناصر عبد الرزاق الموافي.

– الرحلة في الأدب الرحلي لشعيب حليفي.

الدراسة الأولى جاءت بعنوان الشقائق النعمانية في شرح الروضة السلوانية لأبي راس الناصري المعسكري تحقيق وتعليق ودراسة الأستاذ يوسف يوسف، لقد ساعدتنا هذه الدراسة في التعرف على أسلوب أبي راس الناصري في التدوين الرحلي.

الدراسة الثانية جاءت بعنوان أبو راس الناصري ورحلاته المغربية والمشرقية أواخر العهد العثماني لبلعربي عبد القادر وتناول فيها تعريف بشخصية أبي راس الناصري فتطرق الى حياته العلمية والمعرفية، وأهم الظروف التي ساهمت في بناء شخصيته، كما تطرق الى الرحلات المشرقية والمغربية وأهم الموضوعات التي تناولها في كتاباته الرحلية.

وقد ساعدتنا هذه الدراسة في الاطلاع على السيرة الذاتية لأبي راس الناصري المعسكري فإنطلاقاً منها بدأنا رحلتنا البحثية في رحلاته المعرفية والعلمية.

الدراسة الثالثة جاءت بعنوان الشيخ أبي راس الناصري المعسكري من إعداد مجادي إبراهيم مقالة منشورة في مجلة الدراسات في العلوم الإنسانية والمجتمع بجامعة جيجل، تطرق في هذه الدراسة الى الجهود الفكرية والمعرفية التي قدمها أبي راس من خلال مؤلفاته.

لقد ساعدتنا هذه الدراسة في التعرف على العديد من المؤلفات لأبي راس ومن بينهم كتاب فتح الاله الذي نحن بصدد دراسته.

الدراسة الرابعة جاءت تحت عنوان ثورة أبي راس الناصري من خلال رحلته فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته لدكتورة بحري نصيرة وقادة محمد منشورة في مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية، دارت هذه الدراسة حول أدب الرحلات وعلاقته بالصورة أبي راس الناصري، فقد تطرقت الى دراسة الصورة الواقع الاجتماعي والديني والمعرفي لرحلة أبي راس في كتابه فتح الاله، فتطرقوا الى التعريف به ومن ثم التعريف برحلاته ومنهج كتابته.

ساعدتنا هذه الدراسة في التعرف على أبي راس المعسكري ورحلاته المشرقية والمغربية وتعرف كذلك على كتاب فتح الاله الذي هو موضوع دراستنا.

وقد واجهتنا خلال بحثنا هذا بعض الصعوبات من بينها، صعوبة الالمام بجزئيات الموضوع لقلة الخبرة، شساعة المادة المعرفية.

وفي الختام نحمد الله عز وجل الذي وفقنا في هذا وأنعم علينا بنعمته ورحمته،
ونشكر الدكتور يوسف يوسف الذي أشرف على هذا البحث والمعلومات القيمة التي
قدمها لنا، والشكر لكل من مد لنا يد العون سواء من قريب أو بعيد وما هذا العمل إلى
تجربة سابقة ليس لها إلا حق التجربة.

بن سلامة سيهام وطبي شيماء

تيارت يوم 31 ماي 2025

الفصل الأول

الأسس النظرية والمفاهيمية لأدب الرحلة.

الفصل الأول: الأسس النظرية والمفاهيمية لأدب الرحلة.

المبحث الأول: مدخل الى أدب الرحلة:

المطلب الأول: تعريف أدب الرحلة:

1. مفهوم الرحلة:

أ. لغة:

وردت لفظة رحلة في العديد من المعاجم العربية ومن بينها لسان العرب نجد كلمة " رحل الرجل: موكب للبعير والناقة وجمعه أرحل ورحال، قال طرفة جازت البيد إلى أرحلنا ... آخر الليل بيعفور خدر" ¹

الرحلة هنا بمعنى السير وارتحال وانتقال شخص أو قوم من مكان إلى آخر، وفي قاموس المحيط وردت ارتحل البعير: سار ومضى، والقوم عن المكان: انتقلوا، كترحلوا والاسم: الرحلة والرحلة بالضم والكسر أو بالكسر: الارتحال وبالضم: الوجه الذي تقصده والسفرة الواحدة" ² ، ومن خلال هذه التعريفات اللغوية نجد أن الرحلة لغة هي الانتقال من مكان إلى آخر والسير والحركة.

إن لفظ رحلة يطلق على عدة معاني فقد جاءت "بمعنى السير والانتقال والوجهة في المقصد الذي يراد السفر إليه، وبمعنى دنو المكان المراد الوصول إليه، أو اقتراب وقت الرحيل، ولهذه

¹ أبي الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مادة (ر، ح، ل)، مج: 11، دار الصادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ط1، د ت، ص 274.

² الفيروز آبادي، قاموس المحسط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد منعم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005، ص 1005.

المعاني كلها كان لفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان الآخر، ومنه أخذ لفظ رحال: وهو الشخص المنتقل من مكان الآخر¹

ووردت أيضا بمعنى الترحيل والارتحال تعني الاشخاص والإمام يقال رحل الرجل، إذا سار أي أن الرحلة هي السير والانتقال من مكان إلى مكان، والرحلة بالضم، والرحلة بالكسر هي الارتحال²، ورحل وارتحل بمعنى النقل، ورحله تعني سفرة، كل هذه المفردات تصب في معنى واحد هو الانتقال والضرب في الأرض، والسير في مناكبها³.

ورد لفظ رحلة في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة قريش في قوله جل وعلا:
لإيلاف قريش (1) إيلافهم رحلة الشتاء والصيف (2) " في هذه السورة ارتبطت الرحلة بالتجارة، والتي كان يقوم بها أهل مكة صيفا إلى اليمن وشتاء إلى الشام.
ب. اصطلاحا:

تعددت الرحلة في الاصطلاح إلا أنها لا تبتعد عن المفهوم اللغوي، فهما يشتركان في فعل الارتحال، وهي الحركة، غير أننا نلامس من خلال عرض أقوال بعض الأعلام الإشارة إلى

¹ عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات العربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في قوانين السابع والثامن الهجريين: دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، د ط، 1996، ص 40.

² إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح: تاج اللغة العربية والصحاح العربية، مادة (ر، ح، ل)، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984، ص 1701.

³ رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم النعميمي، ج5، دار الرشيد لنشر، بغداد، د ط، 1980، ص 109.

⁴ سورة قريش الآية 1.2.

الفوائد التي يجنيها الإنسان من وراء الرحلة،... ويؤكد المؤرخ عبد الرحمان بن خلدون على أهمية الرحلات في الثراء معارف المتعلم وتميمتها، فيقول الرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال، بقاء المشايخ ومباشرة الرجال¹

وقد عرفها بطرس البستاني بقوله: "انتقال واحد أو جماعة من مكان إلى مكان آخر المقاصد مختلفة وأسباب متعددة"²، فالرحلة هنا هي انتقال فرد أو جماعة الأماكن متعددة قصد تحقيق دوافع ومقاصد مختلفة، قد يكون دافعا دينيا كالحج مثلا، أو طلب العلم، أو البحث عن عمل أو قصد اكتشاف مناطق مختلفة. ومن هذا المنطلق ألوان الرحلة هي نوع من الحركة وهي أيضا مخالطة الناس والأقوام، وتعتبر الرحلات كمصدر لوصف الثقافات الإنسانية والرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع من خلال قارة زمنية محددة.

لرحلة هي انتقال الشخص من مكان إلى آخر بهدف تحقيق أهداف محددة، مثل طلب العلم، وتعود بفوائد كثيرة على الشخص الذي يقوم بها وعلى من ينقل لهم تجربته، كما يستفيد منها الباحث والجغرافي وغيرهم، إذ تشمل وصف ما يراه وما يواجهه أثناء تنقله.

¹ بثينة شيباني (بتصرف) ، التواصل العلمي في رحلة أبي راس المعسكري المعنونة 'فتح الإله ومنته في التحدث بفضل الله ربي ونعمته'، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، كلية الآداب واللغات الأجنبية، قسم الأدب العربي، 2018/2017، ص 3.

² ياسمينه شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، نماذج من الرحلات لقرن العشرون، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة أكلي محند أولحاج، كلية الأدب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، 2013/2012، ص 25.

2. مفهوم أدب الرحلة:

أدب الرحلة هو نوع من الكتابة يهتم بحياة الفرد والشعوب التي يراها الرحالة، ويصف تفاصيل حياتهم ومعيشتهم بأسلوب ممتع يجذب القارئ ويجعله يواصل القراءة من البداية حتى النهاية دون شعور بالملل.

لأدب يشمل كل مستوياته وأبعاده، وله خصائص فكرية وجمالية وأدوات فنية، وكل ذلك يتكوّن حسب كل رحلة أدبية وفق أهدافها وقدرة صاحبها ومهاراته في الملاحظة والدراسة ومدى إتقانه لتقنية الكتابة، وهذه الأخيرة هي التي تمنح النص مكانة مميزة ضمن مجال الإبداع والأدب.

يقول صاحب معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب "إن أدب الرحلات مجموعة من الآثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد¹."

فأدب الرحلة هو أدب يتناول ظواهر عديدة ومختلفة، كما يجسد لنا أدب الرحلة دوافع الرحالة وانطباعاته في الرحلة، وفيها وصف دقيق لما يلاحظه ويتعرض له من عادات وتقاليده وسلوكات وأخلاق المناطق التي زارها فأدب الرحلة أدب وصفي ذو طابع إخباري.

وهناك من يعرف أدب الرحلة على أنها: "ذلك اللون من التأليف الذي يجمع بين الدافع الوجداني العميق والدقة في رصد المشاهدات والظواهر، والبحث عن الأسباب والنتائج ببصيرة واعية"²

¹ مجدي وهبة وكامل مهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، 1948، ص 16.

² زردومي إسماعيل، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم، أطروحة دكتوراه دولة في الأدب القديم، جامعة

الحاج الأخضر، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة وآدابها، بائنة، ط1، د ت، ص 12.

وعرفت أيضاً، بأنها " مادة حكاية قائمة على السفر والانتقال، تجري في زمن مسجل بدقة تحكي أحداثاً وقعت في أمكنة متعددة، وفي زمن مضى¹ "

لقد أورد صاحب هذا القول بعض المقومات التعريفية التي تنقل الرحلة من بعدها المادي الوثائقي إلى بعد كتابي تخيلي تحدثه الكتابة بوصفها عملاً أدبي أو موازي للحدث الواقعي، فقولُه مادة حكاية جرت في زمن مضى، وتسرد أحداثاً وتبني أمكنة هو انتقال بمفهوم الرحلة إلى مجال الأدب.

أما الباحث ناصر الموفي فقد عرف هذا الأدب بقوله: " ذلك النثر الذي يصف رحلة أو رحلات واقعية، قام بها رجال متميز، موازنا بين الذات والموضوع من خلال مضمون وشكل مزين بهدف التوصيل مع القارئ والتأثير فيه"² فيرى ناصر الموفي أن أدب الرحلة هو نص يصف رحلات حقيقية، يوازن فيه الرحالة بين الذات والواقع، من خلال مضمون هادف وأسلوب مؤثر يسعى للتواصل مع القارئ والتأثير فيه.

ويعرفه بن سعيد العلوي بقوله: "جنس أدبي له من الصفات والخصائص ما يكفي لتمييزه عن الأجناس الأدبية الأخرى، أو قلنا عنها إنها خطاب أدبي مخصوص له منطقته الذاتي وبناءه ومكوناته وعناصره، فنحن لا نملك إلا أن نقرن الحديث عن الرحلة بنعت الطوافة، وهي كذلك لأنها تتوخى الجمع بين الإفادة، فهي تخير عما تراه، والإمتاع، لأنها تسعى أن ترصد

¹ إسماعيل دردوحي، تقنيات السرد في رحلة فيض العباب وإفاضة قداح الآداب، كلية العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر، سكرة ع5، 2005، ص 2.

² ناصر عبد الرزاق الموفي، ادب الرحلات عند العرب حتى نهاية القرن الرابع هجري، دار النشر للجامعات المغربية، ط1، 1995، ص 27.

ما تراء عجيبا وغريبا" ¹ فالرحلة من الأجناس الأدبية لها خصائصها ومكوناتها التي تميزها عن باقي الفنون كما أنها جنس يجمع بين الإفادة والامتناع.

وإذا كانت هذه التعريفات تحدد هذه الرحلات بأدبيتها، فإن عبد الباسط بدر يعرف أدب الرحلة بقوله: "إنه ذلك التأليف العربي المطول الذي يتحدث الأديب فيه عن رحلة تجشم مشاقها ومن خلالها بمدن وقرى، وعبر جبالا وأودية وصحاري، وواعد أحداثا ولقي مفاجآت وغرائب لا يعرفها في بيئته" ²

فالرحلة حسب رأيه في أن يتحمل الرحال المشاق والمصاعب فهو في أغلب الأحيان يعبر الجبال والأودية والصحاري وأعمال المسالك والممالك، لكن العبرة في كل هذا هي قدرة الأديب على اختيار المشهد وتدوينه ورصده بلغة أدبية ممتعة، منوع من الطوبوغرافية الجديدة. ويؤكد بعض الدارسين انتساب " أدب الرحلة إلى حقل السرد " باعتباره كتابة أدبية تتوافر على مكونات سردية وآليات كتابية تسمح التصنيف أن يأخذ مشروعيتها في خانة الأدبي ³ ويعد السرد السمة البارزة في أدب الرحلات، لأن الرحالة بصدد الإخبار عما صادفه من أمور وأحداث في أثناء رحلته لأحد الأماكن، لا يمكن عد النص الرحلي نصا سرديا، لأن المشهد القصصي فيه مستمر من بداية الرحلة إلى نهايتها، أي أن الرحلة تجمع بين عنصر القص (الحكي) والموضوعات متعددة المتطرفة لجوانب مختلفة.

¹ سعيد بن سعد العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في الرحلة المغربية المعاصرة، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2006، ص 5

² عبد الباسط بدر، أدب الرحلات، مجلة الأدب الإسلامي، رابطة الأدب الإسلامي العتلمي، بيروت، م1، العدد3، 1994، ص12.

³ شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي " التجسس آليات الكتابة، خطاب متخايل " رؤية لنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 40.

وفي تعريف آخر لأدب الرحلة: " ذلك النثر الذي يصف رحلة أو رحلات واقعية، قام بها رجال متميزا، موازننا بين الذات والموضوع من خلال مضمون وشكل، بهدف التواصل مع القارئ والتأثير فيه" ¹

استخدم الرحالة النثر للتعبير عن رحلته فالنثر له مميزات تساعد على توصيل رسالته كما يتيح للرحالة حرية الوصف والتعليق دون قيود، كما أنه أداء تواصل بين الشعوب. من خلال التعريفات السابقة الأدب الرحلة نستنتج بأنها نوع يندرج ضمن الفنون النثرية الأدبية، فهو نوع يجسد ويرصد لنا ظواهر مختلفة رصدها الرحالة خلال رحلته ويصف ما يتعرض له مرحلة مرحلة، كما أنه جنس أدبي يختلف عن الأجناس الأخرى، فهو يتميز بصفات وخصائص عديدة فهو يفيد ويمنع القارئ من خلال ما يرصده الرحالة من عجائب وغرائب تصادفه في رحلته، كما أنه تلك الحلقة المدهشة التي عملت على اكتشاف الذات الإنسانية، واختراق الحواجز بين مختلف الشعوب والأقوام ²، والمقصود منه أن الرحلة عملت على كسر الحواجز بين الشعوب وعرفت جميع عاداتهم وتقاليدهم.

¹ ناصر عبد الرزاق المرافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الزرقاء، ط1، 1995، ص 41.

² ينظر/ زوبيدة برلدع وفتحية عيساوي، أدب الرحلة في الجزائر، رحلة ابن حمادوش أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، كلية الأدب واللغات، قسم الأدب العربي، 2016/2015، ص 13.

3. خصائص أدب الرحلة:

تتميز الكتابة الرحلية بجملة من الخصائص تميزها عن الأجناس النثرية الأخرى، تتمثل فيما يلي:¹

- هيمنة بنية السفر: التي تؤطر الأحداث وتنظمها مما سبق الإشارة إليه.
- الذاتية: تحضر الذات في الرحلة حضورا بارزا، وليس هذا بمستغرب ما دامت الرحلة حكيا تسفر قامت به هذه الذات وهكذا تحتل الذات المركز في الحل والترحال، وتصطبغ الرحلة بألوانها.
- الحكي بضمير المتكلم مفردا أو جمعا: وهذا تحل من أجليات الذات في أسلوب الكتابة.
- الواقعية: الرحالة الراوي رجل واقعي عاش في فترة زمنية معروفة والأشخاص الذين يتحدث
- أبطال واقعيون فهم أيضا عاشوا في زمن معروف، ومكان معروف، فالأماكن التي يصفها أماكن حقيقية لها وجود فعلي على الأرض، وهذه الخصيصة كثير الرحبة عن الرواية والمقامة المبنيتين على الخيال.
- دور الخطاب بالرجوع إلى نقطة الانطلاق: والخطاب يبدأ مع انطلاق الرحالة من موطنه، ويسير معه إلى المكان المقصود، ويعود معه إلى نقطة الانطلاق، وهكذا يدور الخطاب مع السفر، وينتهي من حيث بدأ.
- تعدد المضامين وتداخل الخطابات: يشتمل الخطاب الرحلي على معارف متنوعة دينية وتاريخية وجغرافية واثنوغرافية وأدبية... وتتداخل فيه خطابات مختلفة كالشعر والرسالة والحكاية والوصف والسرد... وهذا ما تبعده حسن الأجناس.

¹ ينظر/ جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد

4. أهمية أدب الرحلة.

لأدب الرحلة قيمة للفرد والمجتمع بكامله، فهو يقوم بتنمية فكر الباحث والقارئ كما ينمي ثقافته، ويسعى أدب الرحلة بكسر الحواجز بين الشعوب والأمم، " فالرحلة عمل أدبي يبين المستوى الفكري لدى الكاتب وبذلك يضيء طوق القارئ المواظب على المطالعة، والكتابة خاصة في ميدان القصة القصيرة، كما أنها تصور لها بعض ملامح حضارة العصر الذي عاشوا فيه ونصف الكثير من عناصر ثقافة البلدان" ¹ هذا يعني أن أدب الرحلة يوضح لنا مستوى الكاتب، كما تصور لنا ثقافة البلدان المجاورة.

كما حاول محمد يوسف نجم أن يلخص أهمية أدب الرحلة بقوله: " قيمته متأتية من أنها تصور لها تأثير المكاتب بعالم جديد لم يألفه والانطباعات التي تتركها في نفسه... فهي بذلك مغامرة ممتعة تقوم بها روح حساسة في أمكنة جديدة وبين أناس لم يكن لها بهم سابق عهد... فالرحلة إذن ليست سوى تجربة انسانية حية ينغمس بها فيخرج منها أكثر فهما وأصدق ملاحظة، وأغنى ثقافة وأعمق تأملات ... " ²

كما يقدم أدب الرحلة أهمية كبيرة للكاتب فهي بمثابة مغامرة يقوم بها، وتبرز لنا تأثيره بالعوالم التي زارها والانطباعات التي تركها فيه، وتزود الكاتب بمعلومات قيمة، وتغني ثقافته وفكره، "التوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافيا وعلماء الاجتماع والاقتصاد ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير، فالرحلات منابع ثروة مختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي

¹ زوبيدة برادع، فتحة عيساوي، أدب الرحلة في الجزائر، رحلة ابن حمادوش أنموذجا، ص 13.

² ناصر عبد الرزاق العلوي (بتصرف)، أوروبا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في الرحلة المغربية المعاصرة،

المختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور"¹، تعتبر الرحلة منبعاً وفيراً ينهل منه كل العلماء باختلاف تخصصاتهم، كما أنها بمثابة سجل المختلف مظاهر الحياة التي رصدها الرحالة أثناء رحلته.

والرحالة يختلفون فيما بينهم في دقة الملاحظة، وكذلك دقة الاهتمام، كما يختلفون أيضاً في درجة الصدق وفي تنوع فهمهم، فلا بد أن ننظر إلى الرحلة كمبدأ وكمثل. فالرحلة ساعدت الكثير في تخصصاتهم، كما تبين لذا درجات الدقة والاهتمام لدى الرحالة.

كما عملت " الرحلة على ترسيخ المفاهيم والعوامل التي بنيت عليها مسألة وحدة البشر بل لقد فجرت في الإنسان استشعار المصالح المشتركة التي وثقت على هذه الوحدة على الأرض، ومن غير الرحلة ينفر ما عقد هذه الوحدة"²، كذلك للرحلة أهمية كبرى تتجلى في التعريف بالبلدان وأحوالهم وأمورهم كذلك عاداتهم وتقاليدهم، كذلك تهتم بذكر حدودها ومواقعها، كما تقوم الرحلة بالتاريخ لبعض المراحل التي شهدتها الرحالة أثناء قيامه برحلته.

وفي الأخير نستخلص أن لأدب الرحلة أهمية بالغة من الناحية العلمية ومن الناحية الأدبية أيضاً، كما أن لها فوائد جليلة تجعلها حاضرة إلى جانب الأشكال الإبداعية الأخرى ذات قيمة تعليمية.

¹ حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص 06.

² صلاح الدين علي شامي، لرحلة عين الجغرافيا المبصرة، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، ط2، 1999، ص 07.

المطلب الثاني: جدلية لمكان والمعرفة في أدب الرحلة:

1. مفهوم المعرفة:

تعدّ المعرفة من أهم الركائز التي يقوم عليها الفكر الإنساني، فهي السبيل إلى الفهم والإدراك، والأداة التي يكتشف بها الإنسان العالم من حوله، تتجاوز المعرفة حدود المعلومات المجردة، إذ تشمل التجارب والخبرات والرؤى التي تتشكل عبر التفاعل المستمر مع الواقع. وبفضلها، يتمكن الأفراد من تطوير أفكارهم وتوسيع آفاقهم، مما يسهم في بناء حضارات تتسم بالإبداع والتقدم. لذا فإن فهم المعرفة يتطلب تأمل عميق في طبيعتها ومصادرها وأثرها في تشكيل الوعي الإنساني.

أ. لغة:

بحسب ما نجد فهي مشتقة من الفعل (عرف عرفة وعرفانا)، ومعرفة الشيء: علمه، والمعرفة: إدراك الشيء على ما هو عليه.

فتأتي المعرفة في معناها اللغوي في كتاب المنجد في اللغة العربية بمعنى الظهور والكشف عن المخبوء "ففي المعرف والمعرف تدل على وجه الإنسان أي ما يظهر به، والعرف ما ارتفع من مكان أو رمل كعرفة وهو جبل بمكة، يقال عرف البحر ارتفعت أمواجه وصارت له كالعرف أي ظهرت، وعرفت القوم سيدهم، والقائم بأمرهم أي الأبرز بينهم"¹.

ب. اصطلاحا:

المعرفة بالنسبة للمعنى الاصطلاحي فإنه يقابلها بالفرنسية اللفظ *connaissance* "وهو لفظ له مدلول عام ويتناول أمورا كثيرة أخصها فعل المعرفة الذهني

¹ المنجد في اللغة العربية والاعلام، دار المشرق، نقلا عن زيد الخير حورية، الفلسفة وحلم إقامة مجتمع

المعرفة الوطن العربي أنموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،

الشيء المعروف مضمون المعرفة، وموضوع المعرفة، أما عن الفعل عرف أي علم فيقابلة لفظ connaitre حيث يرتبط فعل المعرفة بفكرة الشيء المعروف، كما يرتبط بفكرة الحقيقة ولذلك يتميز مدلوله من معاني الملاحظة والفهم والتصور كما يتعرض إلى معنى الظن والتخمين والتقدير" ¹

"المعرفة هي مزيج من الخبرات المتراكمة، والقيم والمعلومات السياقية، وبصيرة الخبراء والتي توفر إطاراً لتقييم ودمج الخبرات والمعلومات الجديدة، فهي متأصلة ومطبقة في عقل المعارف بها، وغالباً ما تصح المعرفة جزء لا يتجزأ ليس فقط في وثائق ومستودعات المنظمة، ولكن أيضاً في الإجراءات التنظيمية والممارسات، والقواعد" ²

كذلك فقد عرفت المعرفة بأنها "عبارة عن معلومات بالإضافة إلى روابط سببية تساعد في إيجاد معنى للمعلومات وتتولى إدارة المعرفة إيجاد هذه الروابط أو تفصلها" ³

¹ الحلو عبده، معجم المصطلحات الفرنسية فرنسي عربي، المركز التربوي للبحوث والانتماء، مكتبة، لبنان، د ط، د س، ص 155.

² عبد الله وليد المدلل، تطبيق إدارة المعرفة في المؤسسات الحكومية الفلسطينية وأثرها على مستوى الأداء، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة الإسلامية بغزة، كلية التجارة، إدارة الأعمال، غزة، فلسطين، د ط، 2012، ص 22.

³ عبد الستار العالي، عامر قنديلجي، المدخل في إدارة المعرفة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 2، 2009، ص 25.

وعرفت المعرفة على أنها: "كل العمليات العقلية عند الفرد، من إدراك وتعلم وتفكير وحكم يصدره الفرد وهو يتفاعل مع عالمه الخاص" ¹

وعرفت على أنها "جميع الوسائل التي تستخدمها المؤسسة لاكتشاف سلسلة السلوك الممكن، والتي ستتبع فعلاً" ²

إن المعرفة ترتبط بالفرد من خلال إدراكه وتعلمه داخل محيطه، وهذا ينعكس في سلوكه، بينما تسعى المؤسسة إلى إيجاد الوسائل التي تمكنها من التعرف على هذه السلوكيات وفهمها. وتعرف المعرفة بأنها عبارة عن "معلومات معالجة ومفهومة، يمكن الاستفادة منها في معالجة المشكلات واتخاذ القرارات والتعامل مع المواقف المختلفة والاستجابة لمتطلبات التغيير السريع في البيئة المحيطة بالمنظمة" ³

وفي الموروث اللغوي والثقافي العربيين فإن مفردة معرفة تحمل عدة أوجه وتحيل إلى أكثر من دلالة فالمعرفة هي نقيض الجهل حيث يطلق اسم العارف على من يتقن عملاً يقوم به وعندما تبلورت اختصاصات معرفية عديدة في الفكر العربي الإسلامي في العصور الوسطى

¹ مؤيد سعيد السالم، تنظيم المنظمات-دراسة في تطوير الفكر خلال مائة عام-، دار الكتب الحديث، عمان، الأردن، د ط، 2002، ص 184.

² مؤيد سعيد السالم، المرجع السابق، ص 184.

³ ايمان سعود أبو خضير، تطبيق إدارة المعرفة في مؤسسات التعليم العالي "أفكار وممارسات"، المؤتمر الدولي للتنمية والإدارة نحو أداء متميز في القطاع الحكومي، الرياض المملكة العربية السعودية، د ط، 2009، ص 7..

أصبح العارف محصل المعرفة وحاملها بشير إلى المختص في دقائق المعلومات في مجال معرفي بعينه¹.

كما يحمل الاستعمال العربي لمفردة المعرفة بعدا قيميا إيجابيا بحكم أن نقيضها وهو الجهل حامل نقيمة سلبية.

وقد تعددت مفاهيم المعرفة وتغيرت على عدة مراحل وعلى سبيل ذكر هذه المراحل التي مرت بها المعرفة البشرية فإن الدكتور محمد عابد الجابري يوجزها في ثلاث مراحل " فبعد أن كانت من المعطيات المسلم بها والتي وصفت ما الجزء الجنس البشري من تراكم معرفي عبر العصور والأجيال المتعاقبة، أصبحت تعيش مرحلة النقل المنظم للتراكم المعرفي للأجيال المعاصرة مع رفع المهارات وإمكانية التعامل معها حيث اعتمدت في هذه الفترة على تكوين رأس المال البشري التعقب هذه مرحلة الاهتمام بتنمية الموارد البشرية والتأكيد على أهمية التعليم والتأهيل المهني لإكساب البشر قدرات تمكنهم من التعامل بكفاءة مع ما يكسبونه من علم² ".
فالمعرفة إذا لا تنحصر في معنى ضيق من التراكم التاريخي للمعلومات بل إنها أصبحت تتطور باستمرار مطورة معها الفكر الإنساني بسرعة قياسية، ومن هذا أصبح من الواجب مسايرة هذا التطور وبهذه السرعة وذلك بالتعلم المستمر قصد التجديد الخيرات واستثمارها واطاحة فرص عمل جديدة يتوجها العيش برفاهية.

¹ مؤسسة محمد راشد آل مكتوم، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP تقرير المعرفة العربي، 2009
(نحو التواصل معرفي منتج)، شركة دار العزيز للطباعة والنشر، الامارات العربية المتحدة دبي، د ط، د
ت، ص 26.

² محمد عابد الجابري، التنمية البشرية في الوطن العربي، الأبعاد الثقافية والمجتمعية، سلسلة دراسات التنمية البشرية رقم 2، صادر عن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا الاسكوا، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، د ط، 1995، ص 18.

في الأخير يمكننا القول انه قد تعددت المفاهيم المقدمة للمعرفة بتعدد وجهات نظر الباحثين والكتاب في هذا الشأن، فهناك من ينظر إليها على أساس أنها معلومات أو (عناصر) يمكن تخزينها ومعالجتها. وآخر ينظر إليها على أساس أنها خبرات متراكمة سواء في رؤوس الأفراد أو في الذاكرة التنظيمية للمؤسسة (potani) ، وهناك من ينظر إليها على أساس أنها نوع من الوحي والإيمان في اتخاذ القرار (Nonaka) بقوله إن المعرفة هي "الإيمان المطلق الذي يزيد من قدرة الوحدة أو الكيان على العمل الفعال"، وهناك من نظر إليها من جانب اجتماعي Darling حيث عرفها بأنها هي "عبارة عن الموجودات الغير منظورة مثل السنن الاجتماعية لدولة، تشمل الخبرة الواسعة المتراكمة وأسلوب الإدارة المتميز والثقافة المتراكمة¹.

2. مفهوم المكان:

لمكان ليس مجرد مساحة جغرافية أو موقع فيزيائي فحسب، بل هو مفهوم متعدد الأبعاد يحمل دلالات ثقافية واجتماعية ونفسية في الأدب، ويعد المكان عنصرا أساسيا في تشكيل السرد وبناء الأحداث، حيث يسهم في تحديد الأجواء ورسم الشخصيات وتوجيه تفاعلاتها. وفي أدب الرحلة تحديدا، يتجاوز المكان وظيفته التقليدية ليصبح مصدر للمعرفة وميدان للتجربة والاستكشاف، يتفاعل الرحالة مع الأمكنة، فيكتسب منها معارف جديدة ويعيد تشكيل رؤيته للعالم، مما يثري النصوص بأبعاد معرفية وثقافية ومن هنا نقدم تعريف لغوي اصطلاحي للمكان:

¹ مجدي نويري (بتصرف)، محددات أنماط القيادة المساعدة في نقل المعرفة دراسة حالة مؤسسة البريد)

(المسيلة)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الاقتصادية

والتجارية وعلوم التسيير، 2010/2011، ص 3/2.

أ. لغة:

لقد أجمع اللغويون على إعطاء المكان معنى الموضع والمنزلة ونبدأ تعريفا اللغوي في البداية بقوله تعالى: ((أَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا))¹ أي أخذت لها مكانا في الشرق

وبقوله أيضا: ((وَأَسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ))² أي منزلة ، ونجده في وقوله جل جلاله: ((وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا))³ وبمعنى ذلك المنزلة.

وقد جاء في لسان العرب لابن منظور أنه " المكان والمكانة واحد التهذيب: أصل تقديم الفعل مفعول، لأنه موضع لكيثونة الشيء فيه غير أنه لمكانة أجروه في التصريف مجرد فعل فقالوا: مكانة، وقد تكون ... والمكان الموضع والجمع أمكنة ... وأماكن جمع الجمع والعرب تقول: كن مكانك وقم مكانك وأقعد مكانك فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضعه منه."⁴ كما نجد أن هذه اللفظة وردت كذلك في معجم الوسيط : "أن المكان يعني الموضع والمنزلة، يقال هو رفيع المكان (ج) أمكنة ، والمكانة : بمعنييه السابقين وفي التنزيل العزيز : "وَلَوْ نَشَاءُ

¹ سورة مريم، الآية 16.

² سورة مريم، الآية 41.

³ سورة مريم، الآية 57.

⁴ ابن منظور، لسان العرب، مادة (م، ك، ن)، دار الصدارة، م07، بيروت لبنان، ط01، 1997، ص

لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ " " أي موضعهم".¹ ومن هنا نستنتج أن المكان والمكانة لهما نفس المعنى في المعاجم اللغة العربية.

ب. اصطلاحاً:

المكان اصطلاحاً هو الفضاء الذي تشغله الكائنات أو الأشياء، ويتحدد بالعلاقات المكانية بين العناصر الموجودة فيه، في الدراسات الأدبية ويعرّف المكان بأنه الحيز الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات، وله دلالات رمزية وثقافية تتجاوز حدوده الجغرافية. كما يعتبر عنصراً مؤثراً في تشكيل الوعي والمعرفة، خاصة في أدب الرحلة، حيث يُصبح المكان مصدر للتجربة والمعرفة والاكتشاف.

ويعرفه أرسطو على أنه: " موجود أمامنا نشغله ونتحيز فيه وكذلك يمكن إدراكه عن طريق الحركة التي أبرزها حركة النقلة من مكان إلى آخر وهو مفارق للأجسام الممكنة فيه والسابق عليها ولا يفسد بفسادها..."²

كما نجده في المعجم الفلسفي: " المكان الموضع، وجمعه أمكنة وهو المحل (Lieu) المحدد الذي يشغله الجس. تقول مكان فسيح، ومكان ضيق. وهو مرادف الامتداد (Etendue)".³

¹ مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (م، ك، ن)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط5، 1436هـ -2011م، ص836.

² منظور نعمان دليمي، المكان في النص المسرحي، دار الكندي لنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004، ص 18.

³ جميل صليبا، المعجم الفلسفي: بالفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية و اللاتينية، دار الكتاب، بيروت (لبنان)، ج2، د ط، 1982، ص 412.

فالمكان يحيى الإنسان يتأثر به ويؤثر فيه وينظمه ويتكيف معه ولذلك فإنه يحتل حيزا كبيرا في استعمال اللغوي العادي¹ فهو مرتبط أشد الارتباط دائما بتفاصيل الانسان.

وإن المكان بالمفهوم العام هو الحيز والفضاء، وفي هذا الصدد يقول عبد الملك مرتاض: " لقد خصنا في شيء هذا المفهوم وأطلقنا عليه مصطلح الحيز ومقابل المصطلحين الغربي والإنجليزي (...) لكل ما يمكن إعادة ذكره هنا إذ مصطلح الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريا في الخواء والفراغ، وبينما الحيز لدينا بنصف استعماله الوزن والنقل والحجم والشكل (...) وعلى حين أن المكان نريد أن ندخله في العمل الروائي على الحيز الجغرافي وحده.²

وفي نفس الصدد نجد حميد الحمدان يقول: إن مجموع هذه الأمكنة هو ما يبدو منطقيا أن تطلق عليه اسم فضاء الرواية، لأن الفضاء أشمل وأوسع من معنى المكان بهذا المعنى فهو مكان الفضاء"³ ، وهذا يعني أن الأماكن المتعددة في الرواية أيا كان شكلها فإن الفضاء يشملها جميعا أن المكان الروائي في هذا الوضع فهو بنية منغلقة.

كما يرتبط مصطلح المكان عادة " بدلالاته الجغرافية التي تحيل على موضع حقيقي وواقعي أو روائي يقدم دائما حد أدنى من الإشارات الجغرافية التي تشكل فقط نقطة انطلاق من أجل

¹ محمد فتاح، ديناميكية النص، (تنظير والانجاز)، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط3، 2006، ص 69.

² عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، دار الثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1988، ص121.

³ حميد حميداني، بنية النص السردى، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط01، 1991، ص 164.

تحريك خيال القارئ أو من أجل تحقيق استكشافات منهجية للأماكن¹. وبناء على ما سبق نستنتج أن المكان يشمل حيزاً واسعاً في مجال الدراسة، فهو من الحوافز التي تدفع بالكاتب أو الأديب إلى إظهار قدراته الإبداعية. ويختلف طريقة رسم المكان من أديب إلى آخر.

3. العلاقة بين المكان والمعرفة في أدب الرحلة:

إن العلاقة بين المكان والمعرفة في أدب الرحلة محور أساسي، حيث يساهم المكان في تشكيل المعرفة وتوسيع آفاق الرحالة، من خلال تجوالهم، يكتسب الرحالة تجارب ومعارف جديدة تنعكس في كتاباتهم، مما يُثري الفهم الثقافي والحضاري للمجتمعات المختلفة.

يعتبر المكان في أدب الرحلة مصدر أساسي للمعلومات، حيث يقدم وصفاً دقيقاً للأماكن التي يزورونها، بما في ذلك الجوانب الجغرافية، والتاريخية، والثقافية هذا الوصف يساهم في نقل المعرفة عن تلك الأماكن إلى القراء، مما يعزز من فهمهم للعالم من حولهم².

تؤثر الأماكن التي يزورها الرحالة على رؤيتهم الفكرية والثقافية، حيث يساهم الاحتكاك بمختلف البيئات والثقافات في تشكيل وعيهم وتوسيع مداركهم وهذا التفاعل يُنتج معرفة جديدة تُضاف إلى مخزونهم الثقافي، وتنعكس في كتاباتهم³.

توفر الرحلات فرصاً للتأمل والمعرفة الذاتية، حيث يتيح الابتعاد عن البيئة المألوفة للرحالة التفكير في تجاربه ومعتقداته. هذا التأمل يساهم في تطوير فهم أعمق للذات والعالم.

¹ رشيد بن يمين، بواكير الرواية الجزائرية، دراسة تحليلية لبنية السرد في خطاب الحكاية العشاق، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، دت، ص63.

² محمد عبيد الله (بتصرف)، أدب الرحلات...تجوال مغامر نحو الثقافت والمعرفة، الجزيرة، أطلع عليه

في 2025/02/19، للاطلاع أكثر aljazeera.net.

المبحث الثاني: أبو راس ومسيرته الرحلية.

عرفت جزائر خلال العيد العثماني تنقلات وتبادلات علمية وثقافية للعلماء بين البلدان المغربية والمشرقية، فكانت الرحلة إلى هذه الأقطار من طرف العلماء الجزائريين أمرا ضروريا خاصة العهد العثماني، حيث أصبحت الرحلة ظاهرة منتشرة للعلماء والفقهاء الجزائريين نظرا لعدة اعتبارات، ومن أهم النماذج من العلماء الجزائريين "أبوراس الناصري حيث زار العديد من البلدان المشرقية والمغربية وكانت له اسهامات عديدة في ذلك.

المطلب الأول: سيرة أبي راس الناصري.

هو العلامة محمد أبو راس بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر الجليلي المعسكري الجزائري الملقب بالحافظ الغزارة علمه، كما سمي بأبي راس لكبر رأسه (أبو راس). ينتمي أبو رأس أحمد الناصر إلى جيل نادر من العلماء الموسوعيين الذين طبعوا عصرهم بعديد التأليف والمصنفات التي جعلت معاصريه يعتبرونه مجدد القرن الثالث عشر هجري، مثلما وصفه محمد بن يوسف الزيان في دليل الحيران، بالرغم من ظهوره في عصر عرف بانتكاساته الثقافية التي عمت كل العالم العربي والإسلامي. وقد وصفه أبو حامد المشرقي بغزارة مؤلفاته بقوله " أن تأليف شيخه أبي رأس الناصر أوشكت أن تزيد على عدد أيامه" ¹

1. اسمه ونسبه:

هو الحافظ أبو راس محمد بن أحمد بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الناصر بن علي بن عبد العظيم بن معروف بن الجليل، الراشدي قبيلة المعسكري بلدة. الجزائري قطرا،

¹ مختار بونقاب، من علماء الجوزائر الشيخ أبو راس الناصري، مجلة المواقف والدراسات في المجتمع

ويشير في كتابه "فتح الإله ومنته" إلى أن نسبه متصل إلى عمرو بن إدريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت الرسول الله.¹

2. مولده:

ولد أبو راس الناصري الراشدي المعسكري سنة 1165هـ / 1737م بقلعة بن راشد قرب مدينة معسكر بجبل كرسوط بغرب وادي الناغية بجبل هولت، يقول أبو رأس عن مولده "لما ولدت بالموضع المار حملتني أُمي إلى الشيخ الصالح الولي شيخ بعض شيوخه الشيخ علي بن موسى البوطي أحد الصلحاء فبارك علي وأخبرني من خوارق وعادات تكون لي مودات من علم وعمل وصلاح وشيخ وطلبة ولفيف ودرس وخطابة وقضاء وتصنيف، فكان كما قال في اشارته الغيبية، ويقول أبوراس أيضا ولدت بعد المغرب ليلة الأحد مثل رجب الفرد وذلك سنة السابعة وأربعين ومائة وألف"²

3. نشأته:

عاش أبو راس الناصري فقير يتيما توفيت أمه ثم أبوه تكفله بعدها أخوه الأكبر ورحل إلى المغرب الأقصى وبعد عودته منها ذهب أبوراس إلى منطقة القيطنة بمعسكر، التي كانت مركزاً علمياً لدراسة العلوم الشرعية، وبعدها إلى مازونة إذ تلقى فيها العلوم الدينية اللغوية مدة ثلاث سنوات، ثم عاد إلى قريته وتلقى مختلف العلوم على يد عالمها عبد القادر المشرفي، ويبدو من سيرة أبي رأس أن لأخيه الأكبر الفضل في تنشئته يقول عن أخيه "تم بقيت بعد

¹ ينظر أبو قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1،

1998، ص 388.

² ينظر/ بلعربي عبد القادر، أبو راس الناصري ورحلاته المغربية والمشرقية أواخر العهد العثماني، مجلة

لآفاق فكرية، المجلد10، العدد01، جامعة قسنطينة3، ماي 2022، ص 579.

أمي في بيت أبي أنا وأخي العارف الماهر السيد عبد القادر رحمه الله، فأتانا أخونا الأكبر الماجد السيد عمر فانقلب بنا إلى المغرب أما أخي فحملني على عاتقه في صغري¹ وقد عاش أبو راس حياة فقر واحتياج حيث يقول : " وقد استمرت عشر سنين عريانا ل لباس لي إلا خرق كالعدم، وما ليست نعلا إلى أن قرب صوفي، ولما قدرت على السعي صرت أطلب من البيوت ثم أبيع وأكسى"²

عاد أبو راس إلى معسكر، ومنها بدأ يرتحل من مكان لآخر لطلب العلم، ولما ختم رحلته لطلب العلم عاد إلى بيت أخيه ب "وادي غرام" في أحواز معسكر.

فاشتغل بالتدريس والقضاء في تلك الجهة، ثم خطب امرأة من أولاد الشيخ محمد بن يحيى سيد أهل "غريس" وتزوجها، عاد أبو راس مرة أخرى إلى أم عسكر مرة أخرى وبدأ يدر فيها ليلا ونهاراً لمدة 36 سنة متصلة. حتى اشتهر أمره بين الناس في الجزائر وفي أقطار المغرب والمشرق، فكان يحضر مجلسه في بعض السنين 870 طالبا، وهو ما جعل بعض البايات يخصصون له كرسيًا ليستعين به على الدرس لما علموا بكثرة الطلبة وازدحامهم عنده³.

4. المناصب التي تولاه:

مارس أبو راس الناصري مهنة التدريس قرابة ثلاثين عاما في مدينة معسكر وكانت هذه المبادرة من طرف شيخه عبد القادر المشرفي الذي رشحه ليكون خليفته في التدريس، ولما الحسن أبو راس الناصر بنظر معلوماته في البداية دخل مدينة معسكر ولد عمل هناك نشر

¹ خديجة موصدوق (بتصرف)، مخطوط الابريز لابن راص الناصري المعسكري، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد 1، العدد 6، جامعة وهران، ص 202/200.

² محمد أبوراس الجزائري، "فتح الاله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته، نقلا عن عبد القادر مرجاني،

المؤرخون الجزائريون خلال العهد العثماني، ص 16 .

³ عبد القادر مرجاني، المرجع السابق، ص 17.

العلم وتقديم كل جهوده من أجل تدريسهم ليلاً نهاراً، فكان يلتف حوله التلاميذ والبنوا عليه من كل ناحية حيث كان مجلسه يضم سبعمائة طالب علم، وهو ما دفع بالباي محمد بن عثمان الكبير أن يخصص كرسي يستعين به علىلقاء الدروس والمحاضرات، نظراً للحافة جسمه التي لم تكن تسمح له بالظهور صفي وسط الطلبة بسبب الارتجام عليه، ومن ثم سمي الشيخ بصاحب الكرسي الدوار كذلك كان يستدعي أبو راس من مختلف النواحي من أجل اللقاء الدروس حتى في بيوتهم من أجل الانتفاع بعلمه الواسع¹.

كما اسندت إلى أبي راس الناصري مهمة القضاء، وهي وظيفة دينية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالشرعية الإسلامية، حيث لا يتولاها في الدول الإسلامية إلا الفقهاء وعلماء الدين نظراً لما تتطلبه من دراية بالأحكام الشرعية. وقد شغل هذا المنصب لمدة سنتين، لكنه أعفي منه على خلفية موقفه من حادثة درقاوة.

كان أبو راس معروف بشغفه بالعلم، إذ كان يجلس للتدريس مبتدئ بباب الاعتكاف ولا ينصرف حتى يبلغ باب الزكاة، مما زاد من شهرته. امتدت تأثيراته العلمية إلى مصر، الشام، تونس، والعراق، حيث قدّم دروساً أثرت في الأوساط العلمية.

أما مكانته بين علماء عصره، فقد كانت مرموقة لا يضاهيه فيها أحد، حيث حظي بتقدير واسع بفضل علمه وفكره المستنير، مما جعله شخصية علمية بارزة تحظى باحترام واسع في محيطه.

¹ عبد الصمد بلية، عبد النور العمالي، دور أبي راس الناصري في كتابة التاريخ خلال العهد العثماني، جامعة أكلي محند أولحاج، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم تاريخ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، 2024/2023، ص 13.

5. العوامل المؤثرة في تكوينه العلمي:

كان أبوراس من الذين عانوا غير أنه لم يمنعه الفقر من مواصلة طلب العلم والرحلة إلى الشيوخ وإنما اكتسب ثقافة واسعة بالعكافه على المطالعة واتصاله بالعلماء ومواظبته على الحفظ وقد ساعدته في ذلك حافظته كانت بدايته بحفظ القرآن في سن مبكرة وتلقيه للعلوم العربية الإسلامية.¹

" يعد الباي محمد الكبير من البايات الذين اهتموا بالكتاب وعملوا على استقطاب العلماء وتقربهم إليه، فكان يختار من جلساته العلماء والأدباء والشعراء، وكانت مجالسة تنظم خاصة في المناسبات والأعياد إذ أنه كان يهتم بأهل الوظائف كالخطباء والأئمة والمؤذنين المدربين"² الباي محمد الكبير كان أحد الحكّام الذين اهتموا بالعلم والثقافة، فكان يسعى إلى جذب العلماء والأدباء والشعراء إلى مجلسه، حيث كان يقدر المعرفة ويحرص على الاستفادة منها. لم يكن يكفي بجمعهم حوله، بل كان يخصص لهم جلسات خاصة، خصوص في المناسبات والأعياد، مما جعل قصره مركز فكري وثقافي.

إلى جانب ذلك كان يولي اهتمام خاص بأهل الخطابة، مثل الأئمة والمؤذنين، ويحرص على أن يكونوا مدرّبين ومؤهلين، نظرًا لأهمية دورهم في نشر العلم والدين بين الناس، هذا الاهتمام يعكس رؤيته في تعزيز الوعي الديني والثقافي داخل مجتمعه، وجعل منابر المساجد أماكن للتوجيه والإرشاد، وليس مجرد أداء للعبادات " ومن العوامل المؤثرة في مساره العلمي فترة حكم الباي محمد الكبير حيث كان لها تأثير وذلك خلال دخله مجال التدريس سنة 1166هـ

¹ ينظر/ سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، دار الغريب الاسلاميبيروت، لبنان، ط2، 2000، ص

² ينظر / بلبروات، بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، 1797/1779، رسالة ماجستير

/ 1752م، كما أسندت له مهام القضاء تولاهما وهو كاره لها مدة سنتين، لكنه عزل من منصبه فيما بعد بسبب الفان واشتغل مدرسا بالمحمدية التي بناها الباي" ¹.

• بيئته الأسرية:

من البديهي أن يكون الوطن الراشدي - الذي نشأ فيه الشيخ - فضاءً ثقافياً مزدهراً ومعتباً أثر في الثقافة الجزائرية، ولا سيما الجهة الغربية منها، كما ذكر أبو رأس عن أسرته أنها ظلت تعج بالعلماء فقد نشأ في بيت علم وصلاح، حيث فتح عينيه على والده معلم للقرآن الكريم ويقول عنه أنه كان من القراء الماهرين والأساتذة المشهورين، وجده الذي اعتبره أعجوبة الزمان في الولاية والصلاح، ويذهب هذا المذهب كل مرة يستعرض فيها نسبه حتى جده العاشر عبد الجليل الذي يوصف بأنه (الطيار) وصاحب تنبيه الأنام، وقد تولى جده عبد الجليل قضاء القيروان في عهد آخر ملوك الموحدين، كما عرفت أمه زولة بالسقاء والصلاح ².

• شيوخه:

- والده الشيخ أحمد بن أحمد: هو الشيخ أحمد بن أحمد بن الناصر الذي ينتمي نسبه إلى السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان أول شيوخه والده أول ما علمه قراءة سورة الانفطار. وحفظ القرآن الكريم دون تعليمه الحروف بنقشها (أ ب ت) وانما حفظه عن طريق السمع، ولم يعلمه الحروف أي شخص بل أنه أصبح يكتبها لوحده.

- الشيخ أحمد بن عمار: ولد أحمد بن عمار حوالي سنة 1119هـ - 1707م في الجزائر، تحدث عنه تلميذه أبو راس الناصر في كتابه فتح الإله ومنته في التحدث

¹ خديجة موصدوق، مخطوط الابريز لابن راس الناصري المعسكري، المرجع السابق، ص 252.

² مختار بونقاب، من علماء الجوزائر الشيخ أبو راس الناصر، مجلة المواقف والدراسات في المجتمع

والتاريخ، المجلد 19، العدد 01، جوان 2023، ص 723.

بفضل ربي ونعمته" السيد أحمد بن عمار عالم الجزائر كان غاية في الحديث والأدب ... فتقدت بعلومها وتحلت وألفت إليها أرض البلاغة ما فيها وتخلت في ...
حبر الأكارم وبحر المكارم ولاج المفاخر ... " ومن المهام التي تولاهها وظيفة الفتوى والإمامة والخطابة، وقد قام بفريضة الحج سنة 1166هـ، توفي في الحرمين الشريفين"
1

– الشيخ عبد القادر المشرفي: " هو العلامة المحدث المست الزاوية زين العابدين عبد القادر عرف به بن عبد الله"² عبد القادر بن عبد الله المشرفي، المعروف بلقب شيخ الجماعة وإمام الراشدية، ولد وترعرع في قرية الكرة قرب مدينة معسكر. تلقى تعليمه على يد علماء منطقته، مما ساعده على تكوين ثقافته العلمية والمعرفية، حتى أصبح من أبرز المثقفين في زمانه.

بعد أن اشتد عوده في طلب العلم، تم تعيينه مدرساً في معهد الشيخ محي الدين بزاوية القيطنة في وادي الحمام، حيث أمضى فترة من الزمن في التدريس ونقل المعرفة. ولم يقتصر دوره على التعليم فقط، بل كان أيضاً من المشاركين في مقاومة النصارى المحتلين في وهران، حيث وقف ضد الهيمنة الإسبانية. ومن أشهر إنجازاته العلمية تأليفه كتاب "بهجة الناظم في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران عند أعراب بني عامر"، والذي وثق فيه الأحداث المتعلقة بالاحتلال الإسباني للمنطقة، ليبقى مرجع مهم في التاريخ الجزائري.

¹ سعد الله أبو قاسم (بتصرف)، الحملة الفرنسية على مصر والشام في رأي المؤرخ أبي راس الجزائري، في

المجلة التاريخية المغربية، العدد 21، تونس، أفريل، 1981، ص 224.

² الكتاني، بن عبد الكبير عبد الحي، فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات،

تح: حسان عباس، ج2، دار الغريب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1982، ص 577.

– الشيخ القاضي عبد الرحمان التلمساني: عرف باسم عبد الرحمان تلمساني لأنه تولى القضاء في مدينة تلمسان ومن فقهاؤها الكبار نشأ بمدينة تلمسان وأخذ عن علمائها، رحل إلى مصر فأخذ عن شيوخها كالشيخ السمان ومحمودي الكردي يقول عنه أبو راس الناصر " ... جمع متفرقات العلوم ومجهولها عنده كالمعلوم، نو عفة وصيانة ونزاهة وديانة ... " ومن مؤلفاته حاشية على صغرى السنوسي، وياقوتة الحواشي على شرح الإمام الخراشي توفي 1232 – 1817¹

– الشيخ عبد الله الشرقاوي: الشيخ عبد الله الشرقاوي هو عبد الله بن حجازي بن إبراهيم الشافعي الأزهرى، ولد عام 1741م. نشأ في بيئة علمية ونهل من علوم الأزهر الشريف، حيث تتلمذ على يد كبار علمائه حتى أصبح من رموزه البارزين. بفضل مكانته العلمية، تولّى مشيخة الأزهر عام 1803م، واستمر في هذا المنصب حتى عام 1812م، وهو العام الذي توفي فيه. كان الشيخ الشرقاوي من الشخصيات المؤثرة في عصره، حيث لعب دور هام في الحياة الفكرية والدينية، واشتهر بجهوده في الإصلاح والتدريس، بالإضافة إلى مواقفه الواضحة تجاه الأحداث السياسية التي شهدتها مصر خلال تلك الفترة.

– الشيخ محمد الصادق بن أفغول: كان من أجلاء شيوخه، خيرا بعلم الشريعة جامع بين العلم والدين، صاحب مدرسة مازونة الشهيرة، وأخذ عنه أبو راس أحكام الشريعة والقضاء².

¹ محمد بسكر (بتصرف)، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم لمخطوطة والمطبوعة، ج2، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2013، ص 164.

² ينظر/ أحمد بحري، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث 1500-1900م، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارات الإسلامية، جامعة وهران، 2012/2013، ص 302.

- الشيخ علي الأمين الجزائري: هو علي بن عبد القادر بن عبد الرحمان بن علي الجزائري الدار، معنى المالكية في الجزائر وكان سننا لها وقام بتحديد رونق العلمة سافر إلى مصر من أجل طلب العلم، توفي سنة 1236هـ - 1820م بالجزائر¹.
- الشيخ عبد القادر بن سنوسي: كان واحدا من كبار العلماء العارفين والمتعبدين في عصره، وقد اشتهر بعلمه العميق وتواضعه في طلب المعرفة. كان من أبرز تلاميذ أبي راس الناصري في الفقه المنقول، وسعى جاهداً لاكتساب العلم من مختلف المصادر.
- في سبيل ذلك ارتحل إلى مصر لطلب العلم، حيث تتلمذ على يد نخبة من العلماء، من بينهم المرتضى الزبيدي والشيخ محمد الأمير، الذي كان يُعرف بشيخ المالكية. إضافة إلى ذلك، كان يمتلك موهبة أدبية، حيث برع في نظم الشعر في المسائل الفقهية، مما زاد من تأثيره العلمي. لم يقتصر على هؤلاء الشيوخ فقط، بل بلغ عدد العلماء الذين أخذ عنهم ما يقارب خمسين شيخ، ما يدل على سعة اطلاعه وحرصه على تنويع مصادر معرفته.
- يتضح من خلال دراسة شيوخ أبي راس الناصري أنهم كانوا من خيرة العلماء في عصرهم، حيث نهل من علمهم في مختلف الفنون، مما أسهم في تكوين شخصيته العلمية والفكرية. فبفضلهم، تمكن من الجمع بين العلوم الشرعية، التاريخ، والأدب، مما جعله واحداً من أبرز العلماء الذين تركوا أثراً في الساحة الفكرية والعلمية الجزائرية.

¹ أبو قاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، المرجع السابق، ص 51.

6. رحلات أبو راس الناصري:

أبو راس الناصري من المؤرخين الذين أكثروا الترحال داخل وخارج بلاده، مميزات هذه الرحلة أنها تختلف عن باقي رحلات المؤرخين الآخرين خاصة فيما يتعلق بالرحلة نحو الحجاز، والتوق الروحي نحو الحرمين، وزيارة البقاع المقدسة يبدو حافة في الرحلة، كما عانت لك المشاعر المتأججة للكعبة المشرفة والأحاسيس الغياضة للقاء بيت الله وتطهير الروح العاملة المجدة الباحثة عن المزيد من المعارف الشخصية، حيث التقى بعلماء وشيوخ الدين أثناء رحلاته¹.

وتعد رحلة أبو راس الناصري نموذجاً رائعاً من جميع النواحي العلمية و الثقافية والمعرفي ويمكن تقسيمها إلى قسمين داخليا وخارجيا:

1.6 رحلته الداخلية:

نبدأ بمدينة معسكر التي نشأ فيها، حيث قرأ القرآن الكريم على يد شيعه والده الشيخ أحمد الذي علمه أيضا الكتابة الحرفية وأخذ عن الشيخ منصور الضيرير القراءة والكتابة المتقنة في علوم القرآن وفرائضه كما درس الفقه المالكي أثناء مكنه في معسكر على يد شيوخ أبرزهم الشيخ محمد بن مولاي بن علي سحنون قاضي معسكر، حيث مكثت 36 سنة، في معسكر².

¹ عبد الجليل شقرون، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة الى الحبيب 4 لابن عمار ابي العباس سيدي أحمد دراسة وتحقيق، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في تحقيق المخطوطات، جامعة تلمسان، 2016/2017، ص 47.18.

² ينظر/ أبو قاسم سعد الله، ابحاث وراء التاريخ الجزائري، الرجع السابق، ص 95.

وقد تنقل بعدها إلى مازونة بغليزان، واحتك بعدة شيوخ وعلماء من بينهم الشيخ ابن علي أبي عبد الله المغيني الذي صار بين يديه رغم الزحام والضيق، أي أنه قام بتعليم أبي رأس الناصري رغم ضيق الأحوال في المنطقة.¹

وانتقل أبو رأس الناصري إلى الجزائر العاصمة في عدة مناسبات، كان من بينها رحلته سنة 1226 هـ، حيث التقى بكبار علمائها وتبادل معهم المعارف.

كان من بين هؤلاء العلماء الشيخ القاضي المفتي محمد بن جعدون، والقاضي الشيخ محمد بن مالك، كما تعرّف على الشيخ محمد بن الحفاف، الذي كان يعد من أبرز فقهاء وعلماء الجزائر، لما تميز به من سعة العلم والفقه، إضافة إلى مكانته الرفيعة في الخطابة والإفتاء.

وتنقل إلى قسنطينة، والتقى بالشيخ عبد الكريم الفكون أشهر علماء قسنطينة، وأثناء رحلته إلى مدينة وهران التقى بـراي وهران ابن عثمان، حيث وصفه بأفضل الأوصاف كرفيع الشأن، قاهر الأعداء حافظ الأمان والأموال والنفوس، العدل، الفاضل، الكافل.... والتقى أيضا السيد محمد بن حسن الذي كان ذو بلاغة وفصاحة لسان، فعلمه الأدب وتوجه بتأليفه لكتاب البغية المر ناد في كل شيء وجنت بلا رواد، ورجع الأهل ودون تأليفا آخر في مجال الدلائل و قام بعرضه على سلطان معسكر الذي استحسنته.

2.6 رحلاته الخارجية:

لم يكن أبو رأس الناصري مجرد عالم مستقر في موطنه، بل كان رحالة باحثاً عن المعرفة، متنقلاً بين مختلف الحواضر العلمية في العالم الإسلامي. فبعد أن برز في مجال الفقه والحديث والتفسير داخل الجزائر، دفعه شغفه بالعلم إلى مغادرة وطنه في رحلات طويلة،

¹ عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العصر العثماني (1519-

1830)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2016/2015، ص 253.

قادته إلى عدة دول ومراكز علمية بارزة. فكانت هذه الرحلات فرصة له للالتقاء بكبار العلماء والمشايخ، والجلوس في حلقاتهم، والاستفادة من خبراتهم العلمية، كما مكّنته من الاطلاع على التجارب الفكرية والتربوية في البلدان التي زارها. ولم تقتصر رحلاته على التحصيل العلمي فقط، بل كان له دور بارز في إثراء النقاشات العلمية وإلقاء الدروس والمحاضرات، مما جعله يحظى بتقدير واسع أينما حلّ وارتحل.

كان لترحاله أثر كبير في تنوع معارفه وتوسّع آفاقه الفكرية، حيث جمع بين الفقه المالكي في المغرب العربي، والدراسات الفقهية في المشرق، والأساليب التربوية والتعليمية في الحواضر الإسلامية الكبرى، وهو ما انعكس على مؤلفاته وآرائه، التي حملت طابعًا موسوعيًا يجمع بين الأصالة والتجديد ومن بين أهم الرحلات التي قام بها نذكر:

الحج: حج أبو راس مرتين أولهما كانت في سنة (1204هـ / 1789م)، وتعد أكبر رحلة قام بها أبوراس، التقى خلالها شعراء وكتاب وعلماء، والتقى بعلماء الجزائر وقسنطينة وتونس ومصر والحرمين الشريفين والشام.

مصر: ثم ذهب إلى مصر ولقب بها أهل العلم والأدب شيخه مرتضى الزبيدي ويقول أبوراس متحدًا عن نزوله بمصر "... التقيت بها العلماء الكبار وأهل العلم والأدب والأخبار الإمام الأرضي... شيخنا السيد مرتضى.... رويت عنه أوائل الصحيحين وإرسالة القشيري ومختصر العين ومختصر الكتر الراقي.¹

¹ سميرة انسعد، أدب الرحلات الحجازية النثرية في الجزائر من القرن الحادي عشر هجري (القرن 19/17)، بحث لنيل شهادة ماجستير، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2001/200، ص

فلسطين: انتقل أبو راس الناصري إلى مدينة الرملة الفلسطينية، حيث التقى بعلمائها ومفتيها، وخاض معهم نقاشات علمية حول بعض المسائل الفقهية، من بينها أحكام القهوة والدخان، حيث أدلى برأيه في هذه المسائل، فحظي بتقديرهم واحترامهم، وأكرموا لقاء علمه ومعرفته. واصل رحلته إلى غزة، حيث زار قبر هاشم بن عبد مناف، الجد الثالث للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهو معلم ديني وتاريخي بارز في المدينة. ثم اتجه إلى العريش، لكنه لم يجد فيها عالما يعتمد عليه في الفتوى والتعليم، مما جعله يدرك التفاوت العلمي بين المدن التي زارها، إذ كانت بعضها تعج بالعلماء والمجالس الفقهية، بينما تقتصر أخرى إلى شخصيات علمية بارزة **الشام:** ثم رحل إلى الشام، والتقى بعلمائها وتحدث معهم في مسائل متعددة منها مسألة الحبس نص عليها الشيخ أبو زكريا بن الخطاب حيث جمعوا له المال الكثير عندما أراك الشعر تكريما له وتعظيما¹.

تونس: شد أبو راس الناصري الرحال إلى تونس في إطار رحلاته العلمية، حيث كانت آنذاك مركز مهم للعلم والفكر. التقى خلال إقامته هناك بكبار العلماء والفقهاء، وانخرط في مجالسهم العلمية، حيث تبادل معهم الآراء في القضايا الفقهية واللغوية، كما أتيحت له فرصة الاطلاع على النظام التعليمي التونسي في ذلك العصر، مما أثرى معارفه وأغنى تجربته. وقد تركت هذه الرحلة أثر واضح في تكوينه الفكري، خاصة من خلال احتكاكه بالمذاهب الفقهية السائدة في تونس، وعلى رأسها المذهب المالكي.

مصر: انتقل أبو راس الناصري إلى مصر، التي كانت واحدة من أهم مراكز العلم في العالم الإسلامي، حيث جذبت شهره الأزهر الشريف كقلعة للعلوم الدينية واللغوية. هناك، التقى بكبار

¹ عبد الحق زرويح، أبوراس الناصري، مجلة التراث العربي، العدد 98، دمشق سوريا، أبريل 2005، ص

علماء الأزهر، مثل المرتضى الزبيدي والشيخ محمد الأمير، واستفاد من دروسهم في الفقه والتفسير والحديث. لم تقتصر رحلته على تلقي العلم فحسب، بل كانت له مساهمات في مجال التدريس والنقاشات الفقهية، ما جعله يحظى بمكانة مرموقة بين علماء مصر. كما أتاح له وجوده في مصر الاطلاع على التجربة الفكرية والثقافية في بلاد النيل، والتي كانت تزخر بالتيارات الفكرية المختلفة، مما أثرى رصيده العلمي وأكسبه رؤية أوسع في القضايا الدينية والاجتماعية.¹

7. وفاته:

يقول الزباني عن وفاته مات بوقته مجدد القرن الثالث عشر ذو التأليف العديد والتصانيف المدينة المنع المحقق العلامة الفرد الحافظ توفي يوم 15 شعبان 1230 هـ الموافق لـ 17 أبريل 1823 ميلادي، فذكر الشيخ مسلم بن عبد القادر في الأنيس الغريب أنه توفي بمرض الطاعون وتصدر جنازته الشيخ احمد الدايج المتوفي في بلاد معسكر يوم الأربعاء 13 حمادي الثانية سنة 1239 هـ دفن به وعليه تريح ووقفت عليه، مات وعمره جاوز التسعين ويذكر محقق كتاب الحل الهندسية في مقدمته أنه صلى عليه ألف وخمسمائة ودفن بمعسكر على شاطئ الطر الفاصل بين داخل البلد وقرية بابا على وعليه بناء مشهور.²

¹ نادية عبيد(بتصرف)، أبو راس الناصري (1737-1823) حياته وآثاره، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر ، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، 2016/2017، ص 48/49.

² ينظر/ بعربي عبد القادر، أبو راس الناصري ورحلاته المغربية والمشرقية واواخر العهد العثماني، المرجع السابق، ص 584.

المطلب الثاني: تأثير رحلاته في الأدب العربي.

كان لترحال أبي راس الناصري بين مختلف الحواضر الإسلامية أثر بالغ في تكوينه الأدبي، حيث أغنت أسفاره أسلوبه اللغوي والتعبيري، وجعلته أكثر قدرة على التصوير والوصف والتعبير عن التجارب المختلفة. فمن خلال احتكاكه بالمجتمعات المتنوعة، وتفاعله مع المدارس الفكرية والأدبية المختلفة، استطاع أن يدمج بين الأسلوب البياني الجزائري والمشرق العربي، مما أضفى على كتاباته طابع مميز يجمع بين الأصالة والتأثيرات الثقافية المختلفة.

1. أسلوبه في الكتابة والتأليف:

ساعدته رحلاته على الاطلاع على أساليب الكتابة المتعددة، مما جعل لغته أكثر ثراء ودقة، كما أكسبته قدرة على التعبير عن المشاهد والأحداث بأسلوب أدبي راقٍ. فقد تأثر بأساليب السجع والبيان في المشرق العربي، وبأسلوب المباشر والتحليلي عند علماء المغرب الإسلامي، مما جعله كاتب متفرد يجمع بين قوة الحجة وجمال البيان وقد كتب في العديد من المجالات "فهو مؤرخ وفقيه وأديب وشاعر، وأعتبر ثاني مؤرخ من حيث التأليف بعد ابن خلدون ولا يمكن لأي باحث في تاريخ الجزائر العثماني الاستغناء عن مؤلفات أبي راس الناصري في كتابة أبحاثه، وقد اكتسب أبو راس الناصري مكانة علمية هامة، وسط علماء عصره والفقهاء والمفتين والأدباء والمؤرخين، نظرا لرحلاته ومناظراته والإجازات التي قدموها له، حيث أنه كان لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا سجنها ودونها، كالوقائع والأحداث والأبحاث، التي جرت مع علماء والمؤرخين، الذين كانوا يناظرونه، سواء داخل الوطن أو خارجها"¹ ومن بين مؤلفاته:

¹ عبد الصمد بليلة، دور أبي راس الناصري في كتابة التاريخ خلال العهد العثماني، المرجع السابق، ص

1.1 التاريخ:

- زهرة الشماريخ في علم التاريخ.
- المنا و السول من أول الخليفة إلى بعثة الرسول .
- نصرة الرحمان في أخبار الجان، كتحف آثر و مرجان
- دره السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة.
- دره الشقاوة في حروب الترك مع درقاوة.
- المعالم الدالة على الفرق الضالة

2.1 القرآن:

- مجمع البحرين ومطلع البدرين بالتاريخ في تفسير القرآن المجيد في أربعة أسفاره في كل سفر خمسة عشر جزيا.
- السيوف القوامع في شرح الدرر التواضع.
- ازالة الألغاز على كلام القرار على الحراز
- توضيح المعاني في شرح النشر والتسيير.
- تكميل التبيان في ضبط الجواهر الحسان
- الإبريز والأكسير في التفسير.
- الجمع بين الإطلاب والإيجازة في شرح الخراز .
- إغاثة اللهفان في شرح مورد الظمان والتكلم مع صاحب عمدة البيان
- تقبيل الإتيقان في أحكام القرآن.
- فتح العنان في ترتيب نزول القرآن.

- من الرحمان في جمع القرآن وسينه جمعه على هذا المنوال¹.

3.1 الحديث:

- الآيات البينات في شرح دلائل الخيرات.
- مفاتيح الجنة وأسناها في الأحاديث التي اختلفت في معناها.
- السيف المتضى فيما رويته بأسانيد الشيخ مرتضى
- النور الساري في شرح صحيح البخاري.
- السيل الفسيح الجاري في شرح صحيح البخاري.
- مختصر المعلم في شرح مسلم.²

4.1 الفقه:

- درة عند الحواشي على جيد شرحي الزرقاني والخراسي في أربعة أسفار.
- الأحكام الجواز في نبذ من النوازل.
- العقود الجوهريّة في النوازل المعسكرية.
- النظم العجيب في الفروع التي قل فيها مع كثرة الوقوع.
- الأقوال العليمة في نظم شروط الوليمة.

5.1 المذاهب:

- رحمة الأمة في اختلاف الأئمة.
- تنشيف الأسماع في مسائل الإجماع.
- جزيل المواهب في اختلاف الأربعة مذاهب.

¹ يحي بوعزيز (بتصرف)، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، عالم المعرفة لنشر والتوزيع،

الجزائر، 2009، ص 236/237.

² يحي بوعزيز (بتصرف)، المرجع السابق، ص 236.

- قاضي الأوهاد في مقدمة الاجتهاد.
- الأنوار المسطعة في جمع المذاهب الأربعة.

6.1 التوحيد والتصوف

- الزهر الأكم في شرح الحكم.
- فتح الإله في التوصل إلى حكم ابن عطاء الله
- الكتاب الحاوي لعبد من التوحيد والتصرف والأولياء والفتاوى
- كفاية المعتقد ونكاية المنتقد على شرح الكبرى.
- ايضاح الخميس العقيد النفيس في ذكر الأعيان من أهل غريس¹.

2. التوثيق الأدبي لرحلاته:

لم تكن رحلاته مجرد تنقلات علمية، بل كانت مصدرًا غنيًا للمادة الأدبية، حيث قام بتوثيق ملاحظاته ومشاهداته عن المدن التي زارها، والعلماء الذين التقى بهم، والمناظرات العلمية التي شارك فيها. وقد انعكس هذا في كتاباته، حيث تضمنت وصفًا دقيقًا للمدن، ومعالها الثقافية، وطبيعة سكانها، مما جعلها تسهم في الأدب الرحلي، الذي يعد أحد الفنون الأدبية المهمة في التراث العربي.

ومن بين مؤلفاته:

1.2 اللغة:

- ضياء القابوس على كتاب القاموس.
- الضابط المختصر من الأزهرى على قواعد القاموس والجوهري.
- رفع الأثمان في لغة الولايم الثمان.

¹ ينظر/ بوعزيز، المرجع السابق، ص 238.

2.2 النحو:

- الدرة اليتيمة التي لا يبلغ لها قيمة إلا وفيه على الماكودي على الألفية حاشية كبرى
- النكت الأوفية في شرح الماكودي على الألفية، حاشية صغرى.
- عمدة الزاد في إعراب كلا شيء وجنت بلا زاد.
- بغية المرنة في كلا شيء وجنت بلا زاد.¹

3.2 البيان:

- كتاب نيل الأماني على مختصر سعد الدين التفتزاني.

4.2 المعاني:

- كتاب الجوهر اليماني في توضيح ما صعب من علم المعاني.

5.2 البديع:

- عقد الدور المطيع في تبين أنواع العلم البديع.

6.2 العروض:

- مشكوة الأنوار التي يكاد زينها يضيء ولو لم تمسه نار على الخزرجية.

7.2 الأدب:

- النزهة الأميرية في شرح المقامات الحريية شرح صغير.
- الحل الحريية في شرح المقامات الحريية، شرح كبير.

3. تأثيره في الشعر:

لم تقتصر تأثيرات رحلاته على النثر فحسب، بل امتدت إلى الشعر، حيث كان للأماكن التي زارها أثر في إثراء خياله الشعري وتوسيع دائرة موضوعاته. فقد نظم قصائد تناولت

¹ ينظر/ بوعزيز، المرجع السابق،

المديح، والثناء، والوصف، وحتى القضايا الفقهية، متأثر بالبيئة الأدبية لكل منطقة زارها، كما استفاد من احتكاكه بالشعراء والأدباء في صياغة نصوص شعرية تمزج بين العاطفة والفكر، مما جعله شاعر يجمع بين البعد الروحي والبعد الفني.

القصائد:

- البشائر والأسعاد في شرح بانث سعادة الأمية كعب بن زهير الصحابي.
- نيل الأرب في شرح لامية العرب للشنفري الفاتك.
- إزالة الوجم عن القصيدة الأمية العجم.
- السعي الربح السعيد في شرح عقيقة الشيخ سعيدة شرح رابع
- الحلة السعيدة في شرح القصيدة السعيدية، شرح خامس
- الجمان في شرح قصيدة في عثمان ، شرح سادي
- الوصيد في شرح لامية سلوانية الصيد.
- الدرة الأليفة في شرح الطليقة شرح أول.
- طرار شرح المرداسي القصيدة المنداسي شرح ثاني.
- فتح الإله في شرح عقيقة ابن عبد الله شرح ثالث.
- نزهة الحبيب على نظم الأديب الحسيب الجامع بين المدح والتشبيب والتتسيب شرح سابع.

- الجواهر الأصفية في معرفة العوالم العلوية والسفلية على الامية رافع رأس الأندلس.
- درء كل عسير إلى معرفة السيميا والكيميا والإكسير ، على لامية ابن راشد.
- الأنوار الحقيقية في شرح القصيدة الخليلية.
- الكاتم المحكي في شرح لامية أمرؤ القيس هذا ليك.
- قنص الصيد في شرح مقصورة ابن دريد.
- الرياض المرضية في شرح الغوثية.

- العناصر الأمليسية في شرح البدير الغريسية.
- تعجيل الأوبة وملء الغبية في رحلتي لمكة وطبيرة.
- حلتي ونحتي في تعدد رحلتي.
- الفوائد المخبئة في الأجوبة المسكنة.
- ليب فياضي في عدة أشياخي.
- فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته.
- نزول الرحمة الكاملة في التحديث بالنعمة الشاملة.
- انصباب رحمة الله في العقاد ديون أهل الله.
- عبدة الزهر وأكمامه في بده أمري واختتامه.
- شمس معارف التكاليف في أسماء ما أنعم الله به علينا من التأليف.
- القول الماطي في شرح لامية الذمياطي.
- النور الحراق في شرح رجز الأوفاق.
- جمع الموارد في شرح ما مدحت به من القصات.
- منحه الوهاب في ذهابي وما وقع لي بمكة مع الوهابي.
- القول المكفى في شرف ومناقب شيخنا المشرفي.
- منح البارى فيما وقع لي في أسفاري.¹

فلقد تركت رحلات أبى راس الناصري بصمة واضحة في الأدب العربى، حيث أسهمت في إغناء أسلوبه، وتوسيع آفاقه الفكرية، وتنويع مضامين كتاباته. ومن خلال مزجه بين مختلف المدارس الأدبية، أصبح إنتاجه نموذجاً يجمع بين الجزالة اللغوية، والعمق الفكرى، والتأثير الأدبى، مما جعله أحد الأعلام الذين أثروا في تطور الكتابة العربية في عصره.

¹ نادية عبيدي، أبو راس الناصري (1737-1823) حياته وأثاره، المرجع السابق، ص 72.

الفصل الثاني

تفاعل المكان والمعرفة في رحلات أبي راس.

الفصل الثاني: تفاعل المكان والمعرفة في رحلات أبي راس.

المبحث الأول: المكان كفضاء معرفي.

المطلب الأول: الأمكنة الدينية.

هي المواقع التي تكون مقدسة أو ذات أهمية دينية ويمارس فيها نشاط ديني، فيذهب الناس إليها من أجل أحياء شعائرهم وعباداتهم، "وإن التصور المقدس للمكان يرسم على خريطة الكون موقع للجليل وموقع للعادي، ويتجسد هذا الموقع أو ذاك تبعاً للعلاقة الجماعة المؤمنة بهذه الثانيات في فضاءات جغرافية مقدمة محددة وتقسّم العلاقة الإيمانية عموماً مع هذه الفضاءات بالجلال والغبطة والخنوع والانبهار والخشية والتظهر بقدر ما تتصف علاقتها بالأمكنة الأخرى بالعادية والفاترة إن الثنائية التي تحكم كل ذلك هي ثنائية المقدس والعادي. ولعل هذا ما يفسر أن الجماعة المؤمنة تخص مكانها المرجعي المصطفى بكل صفات القداسة، وتضفي عليه معنى رمزياً خاصاً، يرتفع فيه من مكان عادي إلى مكان مقدس مشبع بالدلالات، ويتحول هذا المكان بكل بساطة إلى وسيط رمزي يلبي حاجات رمزية روحية للإنسان إن حجراً من الحجارة يبدو مقدم لأنه أصبح مشبعاً بالدلالة، إما لأنه بعد القداسة وأما لأنه يمتلك جزءاً من الروح

القدسي فيختلف عن محيطه ما بالدلالة والقيمة"¹

وبما أن أبا راس المعسكري كان مسلم، فإن الأماكن الدينية التي اهتم بها وزاها في رحلاته، هي تلك المرتبطة بالدين الإسلامي، كالمساجد، والأضرحة، والمقامات، التي شكلت فضاءات للعبادة وطلب العلم، وكانت محطات مهمة في مسيرته الروحية والعلمية، ومن بي هذه الأماكن الدينية نذكر:

¹ أحمد مراد محمود الدسوقي، الأماكن الدينية في روايات يافوز بهاديرأوغلو، رسالة الشروق، د ت، ص

1. المساجد.

يعرف المسجد بأنه "كل ما يؤدي فيه المسلمون الصلوات الخمس جملة وقد يطلق على ما هو أعم من هذا فيدخل فيه ما ينجزه الإنسان في بيته ليصلي النافلة أو ليصلي فيه الفريضة عن وجود مانع شرعي يمنعه من أدائها جماعة في المسجد الذي يقيم الناس فيه الجماعة¹. وشرعا هو "المكان الذي يجتمع فيه المسلمون الأداء صلاتهم من جهة والتعلم كل ما بشأنه أن ينظم حياتهم من جهة أخرى، فهو مكان الصلوات ومكان يتعبد فيه²

كما شكلت المساجد في العصر الذي عايشه أبو راس المعسكري فضاء جامع للعبادة والتعليم، فكانت موطن لتزكية النفوس، ومركز لاجتماع أهل العلم والأعيان، كما لعبت دور فعال في تنشيط الحياة العلمية والاجتماعية داخل المجتمع، وهي "قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، إذ حولها كانت تنتشر الأسواق والكتاتيب، حيث أنشئت مساجد في الغرب الجزائري من طرف السلطة العثمانية حيث قام الباي محمد الكبير بتشييد مسجده الأعظم بمعسكر والمعروف بجامع العين البيضاء"³

أما تاريخ تأسيس المسجد الكبير (مسجد العين البيضاء) بمعسكر قام ببنائه الباي محمد الكبير يوم 5 ذو القعدة سنة 1195هـ ويسمى بمسجد العين البيضاء نسبة للحي الذي يوجد

¹ زياني أسماء، المساجد ودورها في المجتمع، جامعة أكلي محند أولحاج، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية،

قسم الشريعة، تقرير تربص للسنة الثالثة ليسانس، 2020/2019، ص 1.

² ركيبي العيد، المسجد بين الأصالة والمعاصرة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر، جامعة محمد خيضر

بسكرة، كلية العلوم التكنولوجيا وقسم الهندسة المعمارية، 2021/2020، ص 10.

³ ينظر/ نادية عبيد، المرجع السابق، ص 16.

فيه المسجد كذلك يسمى بمسجد المبايعة وسيدي حسان حيث أنشئ في ظروف كانت الجزائر في حالة جهاد وحروب مع إسبانيا، حيث توجد داخل بيت الصلاة لوحة التذكارية تبين ذلك¹ وقد تحدث أو راس المعسكري عن المسجد في بداية رحلته عندما تعلم القرآن على يد منصور الضيرير قال " ثم تلمذت للشيخ منصور الضيرير تلميذ شيخ الشيوخ وآخر أهل الرسوخ أحد أطواد الأسانيد الثوابت الشيخ بن ثابت ... فأتقنت على الشيخ المنصور القرآن برواية قالون -ورش"²، فكان المسجد مكان لتعبد والصلاة وكذلك مكان لتعلم أحكام الدين والقرآن الكريم، كما أورد أبو راس المعسكري لفظة الجامع في المثير من الأحيان في مكان المسجد ونجد هذا متجلي في قوله عندما ذهب الى المغرب الى مدينة فاس واجتمع ببعض العلماء هناك فقال: " اجتمعت مع العلماء في جامعها الأعظم "³.

2. الحج:

غادر أبو راس المعسكري الى مكة المكرمة بنية الحج وقد أطلق عليها اسم أم القرى فقد حج أبو راس مرتين المرة الأولى كانت في سنة 1204هـ / 1789م وتعد أكبر رحلة قام بها أبو راس المعسكري، التقى خلالها الشعراء وكتاب وعلماء أفادوه كثيرا"⁴

¹ مبروك مهيريس، المساجد العثمانية بوهراة ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر،

2009، ص 31.32.

² محمد أبو راس الناصري المعسكري، فتح الإله في منته في التحدث بفضل ربي ونعمته - حياة أبي راس

الذاتية-، تحقيق وضبط وتعليق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية لكتاب، د ط، د ت،

ص 20.

³ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 115.

⁴ ينظر/ نادية عبيد المرجع السابق، ص 48.

وفي رحلته الى المدينة المنورة التي أطلق عليها اسم طيبة كما كان يطلق عليها المسلمون قديما " طيبة الطيبة" وهي أول عاصمة في تاريخ الإسلام، وثاني أقدس الأماكن لدى المسلمين بعد مكة، هي عاصمة منطقة المدينة المنورة الواقعة على أرض الحجاز التاريخية من المعروف أن المدينة المنورة كانت موجودة منذ أكثر من 1500 عام قبل هجرة محمد صلى الله عليه وسلم - من مكة.

تتبوأ المدينة المنورة مكانة عظيمة في أفئدة المسلمين، لما تحمله من ارث ديني وتاريخي بارز، فهي مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأحد أماكن، نزول الوحي على أفضل المرسلين، وهي تبع الإيمان، وموطن أصحاب الإيمان، ومكان النقاء المهاجرين والأنصار، منها شع نور الهداية، وإليها هاجر رسول الرحمة، وفيها عاش آخر حياته صلى الله عليه وسلم، وفيها دفن، ومنها يبعث وفيها قبره صلوات الله وسلامه عليه، وهي المدينة المباركة التي شرفها الله وفضلها وجعلها خير البقاع بعد مكة المكرمة¹ ونجد هذا متجلي في قوله في كتابه فتح الإله " ثم رحلت الى مدينة طيبة بعد الغيبة، وملئ العيبة، وهي المدينة المشرفة على من تشرفت به أفضل الصلاة والسلام، فيا حبز بمهبط الوحي ونزول الملك جبرائيل عليه السلام. وتشريع الأحكام من حلال والحرام، ونعم المهاد ومبعث الجيوش والسرايا للجهاد وصريح سيد المرسلين والكونين والثقلين والفريقين من العرب والعجم"² وقد خصّ أبو راس المدينة المنورة - طيبة - بوصف رفيع يفيض تقدير وحنين، إذ عبّر عنها بأنها "بعد الغيبة ملؤ العيبة"، في دلالة على ما حمله قلبه من شوق إليها ومحبة لها. كما وصفها بأنها المدينة

¹ ينظر/ معالم في المدينة المنورة، هيئة تطوير المدينة المنورة، أطلع عليه في 2025/05/15، للاطلاع

أثر mou.mad.gov.sa

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 119.

المُشْرِفة بمن تشرفت به، وهو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فأضحت محلّ نزول الوحي، وموطن جبرائيل عليه السلام، ومهبط الرسالة.

وينتقل في حديثه عن رحلته في المدينة المنورة من وصف معالمها ووصف مدى اشتياقه إليها إلى الحديث عن الأماكن التي زارها أثناء تواجده هناك وهي زيارة أضرحة الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه فيقول "وكثيرا ما أقبلنا على ضريحه صلى الله عليه وسلم وضريحي صاحبيه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم زرنا الصحابة بلبقيع رضي الله عنهم أجمعين"¹ فتعد هذه الرحلة من أهم الرحلات الروحية والدينية في مسيرته الرحلية، حيث قصد مكة المكرمة ولم يكتفي بأداء مناسك الحج فقط بل توجه إلى مدينة طيبة ووصفها بأرقى العبارات وهذا دليل على شدة تعلقه بالدين الإسلامي وتقديره لرسول الله وصحابته الكرام فقد تمنى في العديد من المواطن في كتاب فته الإله عن يحشر بينهم ومن بين هذا قوله أثناء زيارته لأضرحة الرسول والصحابة فقال "وحشرنا وذريتنا ووالدينا في زمريتهما وتحت ألويتهما"²

المطلب الثاني: الأمكنة العلمية.

يعد المكان "النواة التي تسقى منها الحضارات والأمم، والمرجعية للجذور التاريخية التي لا يمكن فصلها عن هذا النطاق، سيما في ظل الانقسامات السياسية والاجتماعية التي أضفت عليه طابع التعدد في الفكر و الأطر"³

كما أن الأمكنة العلمية في سيرة أبي راس المعسكري تعد مراكز أساسية لاكتساب العلوم وتبادل المعارف، وقد تمثلت في المدارس الدينية، والزوايا، والمساجد الكبرى، التي كان يزورها في

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 120.

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 121.

³ طيب حماید، حدود المكان المعرفية، مجلة مقامات، المجلد 5، العدد 2، جامعة الجليلي الیابس سيدي

رحلاته، فكانت هذه الفضاءات التعليمية الناشطة تحتضن العلماء والطلبة، وكما كان يحضر في العديد من حلقات الدرس والمناظرة. وقد انفتح أبو راس على عوالم فكرية متعددة، من خلال تجاربه والتقاءه بالعديد من الشيوخ سواء في المغرب أو مصر أو بلاد الشام مما أسهم في تكوينه العلمي والثقافي.

ومن بين هذه الأماكن المعرفية التي تلقى أو ألقى فيها المعرفة نذكر:

1. مفهوم الزوايا:

تعد الزوايا مراكز دينية وتعليمية، نشأت في أحضان التصوف، واحتضنت طلبة العلم والفقراء، مفردتها زاوية جاءت من أصل الفعل انزوى ينزوي، وفي معناه اتخذ ركنا للعبادة، كما أنها مأخوذة من الفعل زوى و انزوى بمعنى العزل وابتعد وتعود التسمية اللغوية أيضا لان أول من قام ببناتها وتشييدها هم المرابطين والمتصوفة. اختاروا الانزواء بمكانها والابتعاد عن صخب التمدن والعمارة طلبا للهدوء والسكون المناسب للعبادة والاعتكاف¹

أما اصطلاحا، فيطلق اسم الزاوية ويراد بها مأوى المتصوفين والفقراء. والمسجد الجامع الذي لا منبر له كما جاء في المعجم الوسيط و الزاوية مؤسسة دينية إسلامية ذات طبيعة اجتماعية روحية²

تعريف أيضا على أنها " تلك الصدقات الجارية التي يجسدها شخص ما في حياته، لتبقى قائمة بعد وفاته كالوقف والحبوس من خلال نص موثق تحدد فيه طبيعتها وقيمتها لتتفع بها عامة الناس، ويشرف عليها صاحبا أثناء حياته، وبعد موته بتعاقب عليها ورثته أو المقدمين للطريقة أو للزاوية والزاوية خلية اجتماعية يرتادها الأهالي القضاء حوائجهم. وفي مؤسسة

¹ أبي شرف الدين، الزوايا في منطقة توت ودورها في الحفاظ على ثوابت الأمة، (الندوة الخامسة لشيخ

سيجي مولاي سليمانبن علي، أولاد أو شن أدرار)، مارس 2011، ص 2.

² محمد نسيب، زوايا العلم والقرآت في الجزائر، دار الفكر العربي،، بوزريعة، ط1، د ت، ص 27.

مكتفية بذاتها اقتصاديا عن طريق المداخل المتعددة سواء من الطلاب أو الأوقاف أو صدقات المحسنين هذا دون إغفال الدور الجهادي للزوايا حيث اهتمت بتدريب المريدين أيضا للذود عن البلاد¹

وكانت الزوايا تحتل الصدارة بين مراكز الثقافة وذلك من ناحية تثقيف الفقراء والمساكين الذين أرادوا التعلم والمعرفة حيث كان الناس يتبرعون للزوايا وبذلك يقصدها عدد كبير وتستقبل الزوار والغرباء والأتباع²

فالزاوية "عبارة عن مدرسة قرآنية تتصل بها كل أشكال التعليم وبعضا من الأوردة تتصل بطريقة صوفية معينة اغلبها القادرية والطرق المتفرعة عنها³

فالجزائر في العهد العثماني كان يميزها انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني كالزوايا ونحوها، حيث كان الزوايا الريفية دورا مهما في التعليم على الخصوص كذلك وظيفتها الدينية وهي معاهد لتعليم الشبان بحيث اشتهرت بعض الزوايا مثل زاوية القيطنة⁴ فالزوايا هي الفضاء

¹ أحمد جعفري الوغري، دور الزوايا التواتية في حماية المقومات الوطنية إبان الفترة الاستعمارية (1830-

1962)، جامعة أحمد دراية أدرار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، د ت، ص 252.

² أشرف صالح سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان الجزائر أواخر العهد التركي، مجلة أماراباك، المجلد 4، العدد 7، 2013، ص 67.

³ محمد باي بلعالم، أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة (الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار أيام 01.02.03، ماي، 2000، ص 02.

⁴ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 5، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 262.

الأول لتربية الروحية وتلقين العلوم الشرعية، وفيها تلقى أبو راس المعسكري تعليمه الأولي، وتشكل وعيه العلمي والديني.

كما حظيت مدينة معسكر بمكانة مرموقة خلال العهد العثماني، لا سيما بفضل الانتشار الواسع للزوايا فيها، مما جعلها مركزاً إشعاعياً للعلم والدين. وقد أنجبت منطقة سهل غريس والوطن الراشدي نخبة من العلماء والفقهاء والمقرئين والمحدثين والمؤرخين، إلى جانب الأدباء والشعراء والرحالة. وبرزت فيها عائلات عريقة توارثت العلم والوظائف الدينية كالقضاء والإفتاء والتدريس والخطابة، ومن بين هذه العائلات: آل المشارف، وآل الخروبي، وآل ابن التهامي، وآل الشيخ مصطفى وابنه محيي الدين بن المختاري، إلى جانب أسرة أبي راس الناصر المعسكري وأولت هذه العائلات "عناية خاصة بتأسيس الزوايا ومعاهد العلم والمدارس للتعليم والتدريس من منطق و سير نبوية وفقه وحديث وغيرها، حيث ذكر الشيخ الطيب بن المختار الفريسي، أن أشرف عائلات غريس كان لها اعتناء كبير بالدين وتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم الأخرى اللغوية والفقهية والعقلية وغيرها، ولهذا كان كل واحد منهم يؤسس زاوية لطلبة العلم ويوظف بها أجلة العلماء والمدرسين يقصدها الطلاب من كل مكان"¹.

لم يقتصر دور أبي راس على تلقي العلم في الزوايا، بل ارتقى فيها إلى مرتبة التدريس، حيث أسهم في نشر المعرفة وتعليم العلوم الدينية واللغوية، فكان أحد العلماء الذين حملوا رسالة الزاوية العلمية والروحية في زمنه ونجد هذا في قوله عندما ذهب إلى معسكر "لتدريس ليلا ونهار ودومت على ذلك ستا وثلاثين سنة متصلة، وما بطلت فيها يوما واحدا"².

وهكذا شكّلت الزوايا محطات أساسية في المسار العلمي والديني لأبي راس العسكري، حيث نهل منها العلوم في بداياته، ثم عاد إليها معلم ومؤطر، ناشر لما اكتسبه من معارف.

¹ يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع،

عين ميله، الجزائر، 2009، ص 140.

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 22.

فقد كانت الزاوية بالنسبة له أكثر من مجرد مؤسسة تعليمية، بل فضاءً للتكوين الروحي والتفاعل العلمي، ومجالاً لتأدية رسالته العلمية في خدمة الدين والمجتمع.

2. المدينة:

تشكل المدينة أحد الفضاءات الأساسية التي ساهمت في تكوين شخصية أبو راس وأثرت في مسار حياته صاغت فهم عاداته وتقاليده فيها ولد ونشأ متنقلاً بين مدينة وأخرى، حيث يكشف الدارس لسيرة أبو راس المعسكري عن طبيعة علاقة شخصيته بالمدينة التي يقيم بها، فيها فالمدينة "تمثل المسرح الذي يكون للشخصيات فيه من أدوار في الحياة"¹.

فقد انتقل أبو راس إلى مدينة بعد أن تذكر مقولة الامام الشافعي في وصيته لما ذهب من عنده (لا تسكن الأرياف، فيذهب علمك، وتهتك حرمتك)، فانتقلت إلى (أم عسكر)، وشمرت على ساق الجد للتدريس ليلاً ونهاراً² فهي بمثابة "المكان الذي يجمع شتات الشخصيات التي لا رابط بينها غيره، يصبح هو صلة الدم الجغرافية التي تقوم على أساسها شبكة هذه العلاقات"³ فأثناء رحلات أبو راس إنتقل بالعديد من الشخصيات في مدن مختلفة كانوا غرباء عنه في البداية وممن ثم أصبحوا مقربين فمنهم شيوخه ومنهم أصدقاء ومنهم تلاميذه.

من الواضح أن المدن بأحيائها الراقية وشوارعها العريضة والطويلة والأحياء الشعبية بأزقتها الضيقة والمتعرجة تعد أماكن انتقال نموذجية وتشكل سرحاً لحركة الناس فيها وإن دراسة هذه

¹ محبوبة محمدي محمد أبادي ، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، ص45.

² أبو راس، فتح الإله في منته، 22.

³ سعاد دحماني، دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية الآداب

الفضاءات الانتقالية وما تحمله من صور ومفاهيم تساعد في تحديد السمات التي تتصف بها تلك الفضاءات وبالتالي بالقدرة على إبراز القيم والدلالات المرتبطة بها"¹ .

3. المدرسة:

برزت المؤسسات التعليمية في العصر العثماني سواء الزوايا أو المدارس فقد كانوا بحاجة إلى مؤسسات تعليمية تعنى بتكوين النشء وتأطير طلبة العلم، فأنشئت العديد من المدارس التي لعبت دور محوري في نشر العلوم الشرعية واللغوية، فكانت هذه المدارس نموذجاً للتعليم المنظم والجدي، ومجال لصقل الكفاءات العلمية في بيئة تسودها الجدية والانضباط.

وتعرف المدرسة في العصر الحديث على أنها " نسق منظم من العقائد والقيم والتقاليد، وأنماط التفكير والسلوك التي تتحد في بنيتها وفي ايديولوجيتها الخاصة"² في حين يرى شيمان أن المدرسة "هي الشبكة من المراكز والأدوار التي يقوم بها المعلمون والتلاميذ، حيث يتم اكتساب المعايير التي تحدد لهم أنوارهم المستقبلية في الحياة الاجتماعية"³ هنا تعريف شيمان للمدرسة تعريف بنائي وظيفي، فهم يعرفها من خلال المراكز والأدوار التي يقوم بها المعلمون والتلاميذ، التي تمنحهم أدوار مستقبلية في المجتمع الذي ينتمون إليه.

ويرى الباحث رابح تركي أن المدرسة هي " في الحقيقة والواقع المعبر الذي يمر فيه الطفل من حياة المنزل الضيقة إلى الحياة الاجتماعية الحقيقية، ومن هنا يجب أن تقلع المدارس أن

¹ مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثا 166.ية حنا مينة (حكاية بحار - الرقل - المرفأ البعيد)، منشورات

الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011، ص 166.

² علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب، علم الاجتماع المدرسي (بنوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها

الاجتماعية)، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص 16.

³ علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب، المرجع السابق، ص 17.

تكون مجرد بداية للتعليم كما يسمونها، وأن تتحول إلى مجتمعات حية للتربية بأوسع معانيها¹ ويضيف في معنى المدرسة " أن معنى المدرسة أوسع من مجرد مبنى تتم فيه عملية التعليم بل هي أهم مؤسسة بعد الأسرة ففيها يتعلم الطفل كيف يصبح فاعلا في المجتمع الحقيقي، فهي تساعده على التكيف الاجتماعي، وذلك بتأثره بقيم ومعايير ومعتقدات وتقاليد وأفكار ومبادئ المجتمع"²

عرفه المؤرخ الجزائري أبو راس الناصر المدرسة على أنها تبنى الدراسة العلم من أجل تعليمه وتعلمه، ومن أمثلة ذلك المدرسة القضائية بالجزائر، والمدرسة المحمدية بأم عسكر كذلك مدرسة ابني الإمام تلمسان³ .

ومن أهم المدارس في الجزائر في ذلك الوقت نجد المدرسة القشاشية حيث ذكرها أبو راس المعسكري في تأليفه عجائب الأسفار عندما زارها لأول مرة وهو في طريق رحلته إلى الحج سنة 1204هـ⁴ فقد أشار إليها أبو راس فحسب ولم يتحدث عنها كثيرا، وإن هذه المدرسة تعد من بين أقدم المدارس في الجزائر ورجح الباحثين أنها فرع من جامع القشاش الذي "يعود إلى العهد السابق للعثمانيين ومدرسة القشاش تعود إلى سنة 1162هـ، حسب تقدم وثيقة تتحدث عن هذه المدرسة، تحتوي هذه المدرسة على أستاذ مكلف بتدريس الشريعة الإسلامية والتوحيد وبها عشرة أساتذة لتعليم مختلف العلوم الأخرى"⁵

¹ تركي رابح عامرة، أصول التربية والتعليم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1990، ص 194.

² تركي رابح عامرة، المرجع السابق، ص 194.

³ المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، المجلد3، عالم المعرفة لنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، د ت، ص 25.

⁴ المهدي البوعبدلي، المرجع السابق، ص 37.

⁵ ينظر/ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 282/281.

أما أهم المدارس في مدينة معسكر المدرسة المحمدية والتي تعد من أبرز المؤسسات التعليمية التي أنشأها الباي محمد بن عثمان، وقد تميّزت بمكانتها الرفيعة كأكبر معهد علمي في المنطقة، احتضن نخبة من الأساتذة الذين كرّسوا جهودهم كاملةً للتدريس والتعليم، دون الانشغال بوظائف أخرى. وقد شكّلت المدرسة المحمدية قبلة للطلاب والتلاميذ من مختلف الأنحاء، لما عُرف عنها من جودة في التكوين وصرامة في التحصيل. وقد عبّر أبو راس العسكري عن عظمتها بقوله: "وهي المدرسة التي كاد العلم أن ينفجر من جوانبها"¹، في إشارة بليغة إلى كثافة العلم وغازاته بين جدرانها، مما يعكس أثرها العميق في النهضة التعليمية آنذاك.

كما كانت من بين المدارس التي اهتم بهما الباي وقد أسست هذه المدرسة بجانب بجانب الجامع الأعظم في مدينة معسكر وكان أبو راس مدرس بالمدرسة.

4. مدينة فاس:

تعد مدينة فاس من أقدم مدن المغرب الأقصى، وهي في الأصل مدينتان مصورتان مفترقتان بينهما نهر كبير، عدوة الأندلس وعدوة القرويين، وكلاهما أصبح يطلق عليها بفاس البالي، وذلك للتفرقة مع المدينة الجديدة التي بنها المرينيون التي سميت باسم فاس الجديد²

فتأسست عدوة الأندلس 193هـ/809م وبعدها بسنة تأسيس عدوة القرويين 193 هـ/809م من هنا يتضح لنا الإشكال حول قضية التأسيس المدينة، إلا هناك نظرية القول أن إدريس بن عبد الله أسس مدينة فاس سنة 172هـ/788م في الموضع الذي تقوم عليه عدوة الأندلس وأن إدريس بن إدريس أس عدوة القرويين أي أنه لا يعقل أن يؤسس إدريس الثاني مدينتين مستقلتين خلال سنة واحدة، ومن الأدلة التاريخية المادية (العملة) العثور على عملة

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 58.

² بن بوزيان عبد الرحمان، محطات من التاريخ السياسي ولحضاري لمدينة فاس منذ النشأة الى بداية عهد

الحماية، مجلة قرطاس الدراسات الفكرية والحضارية، المجلد 8، العدد 1، 2021، ص 128.

ضربت بالمدينة سنة 172 / 788م تحمل اسم إدريس الأول وفي المكتبة الأهلية ببائيس دراهم ضربت لمدينة فاس سنة 189 هـ / 15كم قبل التاريخ المتواتر في المصادر السابقة، وفي متحف خاركوف تراهم آخر ضرب في مدينة فاس سنة 185 هـ / 801م¹ لتصبح فيما بعد مدينة فاس مركز ثقافي وديني بارز، وموطن لعدد من أعظم المؤسسات العلمية، وعلى رأسها جامع القرويين الذي يعد من أقدم الجامعات في العالم، لقد مثّلت فاس قبلة لطلاب العلم من مختلف الأقطار، لما عرف عنها من ازدهار علمي وزخم فكري، وهو ما جذب أبا راس العسكري إليها خلال رحلته من الجزائر إلى المغرب، حيث قصدها بنية طلب العلم والتزود من معين علمائها، فرحل أبو راس العسكري إلى مدينة فاس " ورحب به علمائها أحسن ترحيب، حيث التقى بالشيخ النحوي عبد القادر بن شرقون والفقير الشيخ محمد بن نيس والعالم الشيخ حمدون والفقير الهواري"² ونجده يتحدث عن رحلته إلى فاس يقول: " رحلت إلى فاس، محل العلم والائناس والتقريب والتعبيد، وهي قبلة الإسلام والسلام والاستسلام، المقام الأعلى والمثابة الفضلى فهي أم قرى المغرب الوافرة، وخزائن المزاير والشهرة الساحرة، والأباء المسافرة، ذات الأرجاء الدانية والقاصية، والأطراد الراسخة، والمباني الباهية، والأزهار الزاهية، والمحاسن الشاهية، حيث هي آثار السلطان إدريس المجاهد تعبق من تلك المعاهد، حيث كرائم السحائب،

¹ ينظر/ أسماء عمارة، مدينة فاس النشأة والتطور من خلال العصرين الإدريسي والمريني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2018/2019، ص11.

² عبد الحق رزيوح، أبو راس الناصري ومؤلفاته، مجلة التراث العربي، العدد98، دمشق سوريا، أبريل 2005، ص 230.

وتزور عرائي لرياض الحبائب، فتحمل لها من الدر نثارا، حيث شمول الشمائل على الأدواح، بالغزو والرواح"¹

وقد التقى بعض علمائها أمثال الشيخ القادر بن شقرون وهو من نحاة فاس الذي قال عنه: "نحوي فاس، بإتقان الناس ذا السر المصون... والرائد من كلام التسهيل كل شماس وحرون، نحوي محقق وأديب مدقق، وصالح موفق وأستاذ تحرير نظار، وفائد تدريسه لجين ونظار"² والشيخ القادر بن شقرون أشهر علماء النحو في فاس، الذين كان لهم أثر بارز في الحركة العلمية هناك، وقد خصّه أبو راس بمدح رفيع في سيرته، حيث وصفه بـ"نحوي فاس بإتقان الناس"، في إشارة إلى تفوقه في علم النحو، و"ذا السر المصون" دلالةً على علمه الراسخ وحكمته، كما وصفه بأنه "الرائد من كلام التسهيل"، إشارة إلى تمكنه من كتاب "التسهيل في النحو" لابن مالك، والذي يعد من أمهات كتب النحو. واستمر أبو راس المعسكري ففي مدحه مما يعكس تقديره العميق لمكانة هذا الشيخ، واعترافه بفضلته وتأثيره في تكوينه العلمي.

5. بلاد الشام:

بلاد الشام سميت بهذا الاسم لكثرة الشامات في أرضه بيض وسود وذلك في التراب والبقاع والحجر وقبل سمي الشام شاما نسبة إلى سام بن نوح لأنه نزل به فبالسريانية ينطق شام بشين المعجمة والعرب تنقلها إلى السين المهملة، وقبل أيضا انه سمي شاما لأنه يقع على شمال الكعبة والشام لغة الشمال، وذكر أنه سمي شاما التشاؤم على كنعان بني حام

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 101.

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 105.

بن نوح عليه السلام إليها، أي أخذوا ذات الشمال قسماً بالشام بذلك، وقيل سمي شاماً لكثرة قراها وتعاني بعضها من بعض تثبت في ذلك بالشامات¹.

والحدود الطبيعية والجغرافية بصفة عامة هي " تلك المنطقة الواقعة إلى الشمال من شبه الجزيرة العربية باستثناء البصرة و الكوفة، وهي الأقاليم الداخلة اليوم في فلسطين وسورية " ² أما رحلة أبو راس المعسكري الى بلاد الشام فلم يتحدث عنها كثيراً وإنما إكتفى بأنه ذهب الى هناك بسبب مسألة الحبس التي كان فيها إختلاف كثير في ذلك الوقت ونجد هذا في قوله: "رحلت الى الشام فتكلمت مع علمائها في مسألة من الحبس نص عليها الشيخ أبو زكريا ابن الخطاب، فطال بحثنا فيها جداً ثم إن هم رجعوا لقولي ووافقوني، وأنصفوني بعد الدلائل القطعية والأجوبة اللائقة والمباحث الفائقة" ³ فقد أوضح أبو راس من خلال هذا الحوار سعى علمه وقوة استدلاله، فقد انتهى بهم الأمر بالرجوع الى رأيه وموافقته لما ذهب اليه، وهو ما يعكس مكانته العلمية وقدرته على الاقناع، وبعد الانتهاء من هذه المسألة رحل من الشام مباشرة.

6. مصر:

إن الحضارة التي قامت في وادي النيل من أقدم الحضارات ذات أهمية كبيرة في تاريخ الإنسان القديم، حيث ذكرت أكثر من مرة في القرآن الكريم -وأدخلوا مصر إن شاء الله آمنين (سورة يوسف الآية 99)

¹ معايشية نفيسة، الجرات العربية الى بلاد الشام في العهد الأموي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر،

جامعة 8 ماي قالمة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2019/2018، ص 11.

² معايشية نفيسة، المرجع السابق، ص 11.

³ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 119.

فقد كانت مصر تمتلك منذ أقدم العصور الجيولوجية المقومات البيئية ذات الملاحظة المحددة قد أثرت بدورها في أقدم السلالات البشرية التي استقرت على أرض مصر كما أثرت هذه العناصر البيئية تأثيرا كبيرا في نشأة الحضارة المصرية القديمة، كما ساهمت في نموها وتطورها بفضل مجهودات الإنسان المصري القديم عبر عصوره التاريخية الطويلة ويظهر تأثير البيئة في مصر ليس فقط في الخطوط الطويلة الموحدة لتكوينها الطبيعي بل أن البيئة كان لها تأثيرا أيضا على العمارة المصرية القديمة.¹ ولم يقتصر أثر هذه الحضارة على الجانب المادي والعمراني، بل انعكس أيضا على المجال العلمي والفكري، فكانت مصر منارة للعلم والمعرفة قصدها العلماء وطلاب العلم من مختلف الأقطار ليحصلوا على المعرفة العلمية من علمائها، ولم يكن أبو راس المعسكري مختلف عنهم فقد قصد مصر رفقت "عدد كبير من مثالية وعلماء المغرب العربي للأخذ عن علمائها وذلك لوجود جامع الأزهر بناء على شهرته العلمية الواسعة والوقوع مصر في طريق الحج، فقد كان المغاربة يتوافدون إليها"²

وقد خص أبو راس مصر بوصف جميل في سيرته، وعبر عن إعجابه الكبير بالحضارة المصرية القديمة والحضارة الإسلامية، فلها مكانة علمية وثقافية، فيقول عنها واصفا " ثم ربت الى مصر البلد الذي ليس لعمر ولالزيد، والفرا الذي في جوفه كل صيد استقل به كرسي خلافة الاسلام، وأعار بالرصفة والحبس ومدينة السلام، وما عسى أن تطلب في وصفه ألسنة الأقلام، تعبر عن كماله فوق الكلام، ودخلت بآءها المبهت المعجب، وخارجها المنبت المنجب "³

¹ رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديم، ج1، دار النهضة الشرق، القاهرة، د ط، 2001، ص 356.

² بلعربي عبد القادر، أبو راس الناصري ورحلاته الغربية والمشرقية أواخر العهد العثماني، مجلة الأفق

فكرية، المجلد 10، العدد 1، 2022، ص 587.

³ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 116.

عندما نزل أبو راس أرض مصر، وجد فيها نشاط علمي وزخم فكري، فقد التقى بكبار العلماء، وأشاد بأهلها وفضل علمائها، فقال " لقيت بها العلماء الكبار أهل العلم الأدب والأخبار الإمام الأرضي - شيخنا المرتضى. ففاوضته في الفنون فوجدته كما يلي فيه من الظنون، ورويت عنه أوائل (الصحيحين) رسالة القشيري و "مختصر العين" و"مختصر الكبر الراقي" وأجازني الباقي، ثم كتب لي إجازة نص بعضها (أني أجزت الفقيه العالم المتفطن الحافظ فلان)"¹

كما تجدر بنا الإشارة إلى أن الناصري ذهب إلى مصر وعلى ضوء رحلته إلى مصر تستشف أن الناصري التقى بكبار علماء البلاد المصرية وتتلذذ على يد كبار شيوخها وأصبحت له شهرة واسعة هناك.

المطلب الثالث: الأمكنة الاجتماعية.

تشير الأمكنة الاجتماعية إلى تلك الفضاءات التي عبت دور في تماس المجتمع وتفاعله وأنتجت عادات مشتركة بينه، " فيعد المكان التيار الذي يولد الحركة بين الشعوب، والسفينة التي تثبت القيم والمعتقدات، سواء شملت التفتح الفكري أو النفسي للتركيبة الإنسانية ومن هنا كان للمكان في حياة الإنسان قيمته الكبرى ومزيته التي تشده إلى الأرض، فالمكان يلعب دوراً رئيسياً في حياة أي إنسان"² وقد شكلت هذه الأمكنة جزءاً من المحيط الذي نشأ فيه أبو راس، وأسهمت في تشكيل نظرته إلى المجتمع والعلم والمعرفة والدين، ومن بين الأمكنة التي زارها أبو راس في رحلته وذكرها في كتابه فته الإله نجد:

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 117.

² طيب حماید، حدود المكان المعرفية، المرجع السابق، ص 76.

1. زيارة الأولياء الصالحين:

إن زيارة الأولياء الصالحين الثقافة الشعبية وجدت منذ القدم وهي بمثابة قصص تروى وأخبار هؤلاء الأولياء حيث يصدقها الشعب ويؤمن بها ويحفظها ويحاولو توريثها للأجيال القادمة ومن ثم تنشر روايتها وتداولها في أوساط الشعب، وكأنها جزء منه ومن مخيلته الشعبية الواسعة، إذ ينسجها وفقا لهذه المخيلة وذلك من أجل أن تؤثر صورها في المجتمع الشعبي¹. وهذه الزيارات تحولت الى طقوس يقوم بها الأشخاص عندما يريدون أن يطلبوا شيء من الله عز وجل، ونيتهم في الأمر لم تكن شرك بالله وإنما اعتقاد منهم أن الولي الصالح هو أكثر تقرب من الله ودعواته مستجابة أكثر منهم.

والمقصود بالأولياء الصالحين هم "الرجال الذين اختصهم الله برحمته، واصطفاهم لخدمته، وأمدهم بمحبته، تقربوا اليه، فتقرب منهم، وأكثر السجود له، فاقتربوا من أنواره، وخضعوا له، وأفاض عليهم من أسرارهم، وصفت قلوبهم من الشوائب، فانعكست فيها الأنوار، وتحجبت فيها الأسرار"²

وقد يصل تمجيد هؤلاء الأولياء الصالحين من قبل بعض أفراد المجتمع إلى درجة أنهم قادرين على التصرف في القدر باعتقادهم أن الله تعالى لهم قدرات خارقة سخرت لهم الجن والطيور والأرض والسماء أي كل ما هو على وجه الأرض وحتى أنهم في بعض الأحيان لهم

¹ إسمهان مزيان، التراث الشعبي في رواية سيد الخراب، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، جامعة

محمد خيضر، كلية الآداب واللغات الأجنبية، قسم اللغة العربية، 2016/2015، ص 50.

² سيد سليم، مع أولياء الله الصالحين، دار القصص والحكايات، كتاب الكتروني، د ب، د ت، 2019،

الحق في تصرفات العباد ومحاسبتهم حتى لو كان الحساب دفع نفسه وكذا منح الذرية والشفاء من الأمراض ومنح الزوج إلخ¹.

ومن خلا هذا التصور يعكس مدى تغلغل المعتقدات الشعبية في وجدان بعض الأفراد، حتى تجاوزت حدود التقدير والاحترام إلى حدّ الغلو والاعتقاد بقدرات خارقة لهؤلاء الأولياء، فيتحول الولي من رمز روحي إلى وسيلة لتحقيق الرغبات ودفع الأقدار، ويمكن القول إن هذا الاعتقاد يعد مظهرا من مظاهر التدين الشعبي، الذي يتداخل فيه الديني بالأسطوري، والعقائدي بالثقافي، فعلى هذا الأساس السائر في أذهانهم نجدهم يزورون الأضرحة ويطلبون منها أمنياتهم ولكل قبيلة أو عرش ولي صالح معين.

وكان الناس يؤمنون ببركة الأولياء ويعتمد بها قدرة أوليا الله الصالحين " 2 .

ان حياة أبي راس المعسكري لم تكن منعزلة عن الموروث الديني والاجتماعي الذي تشعب به المجتمع الجزائري في تلك الحقبة، بل كانت منذ بداياتها الأولى متأثرة إيمان وسلوك بحضور الأولياء الصالحين ومكانتهم الروحية، ويظهر ذلك في أولى محطات حياته، حين حمله والده بعد ولادته مباشرة إلى أحد الأولياء الصالحين فيقول في " ولما ولدت حملتني أمي ووالدي الى الشيخ الصالح -الولي- شيخ بعض شيوخ: الشيخ علي بن موسى اللبوشي صلحاء أرض اليعقوبية فبارك علي وأخبر بغيث خوارق وعادات تكون لي مودات، علم وعمل صالح، غني وحفظ، وإصلاح ووشيح طلبه ولفيف، ودرس وخطابة وقضاء، وتصنيف"³، وهذا يعكس مكانة

¹ ينظر/ إسمهان مزيان، التراث الشعبي في رواية سيد الخراب، المرجع السابق، ص 50.

² خديجة شرقي، أبعاد التراث في الرواية الجزائرية المعاصرة " الممرضة الثائرة " ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، جامعة أحمد دراية أدرار، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2016/2015، ص 35.

³ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 14.

الولي الصالح الروحية والاجتماعية عند الجزائريين، اذ ينظر اليهم على أنهم رجال اصطفاهم الله برحمته وخصهم بمحبته، فظهر قلوبهم من الشوائب، ولهذا فدعائهم مستجاب عنده، ويضيف أبي راس المعسكري أن مقاله الولي الصالح كان صحيح كله ونجد هذا في قوله "فكان كما قال في إشارته الغيبية ومقالاته"¹ ومن هنا نستخلص أن أبو راس كان يؤمن بما قاله الولي الصالح ويؤكد على صحته، وهذا الفعل الرمزي يعكس ما كانت تحظى به شخصية الولي من إجلال وتقدير، ويجسد مدى تعلق الناس ببركتهم وتوسلهم بدعائهم. ويعدّ هذا الحدث أحد المؤشرات الأولى على البيئة التي نشأ فيها أبو راس، والتي ساهمت في تشكيل وعيه الروحي والديني فيما بعد.

2. البيوت:

البيت هو المكان الذي يقيم فيه المرء" اذا يمثل كينونة الانسان الدفينة، أي اعماقه ودواخله النفسية فحينما نذكر البيوت والحجرات فإنما نعلم أننا نكون داخل أنفسنا"² ويعد البيت كذلك المكان الأول الذي يوجد فيه الإنسان فهو عالم الشخص تتكشف خبايا نفسه وفيه يعبر عن مواقفه إزاء الناس و الأشياء، فهو مكان الألفة والحماية ... يشكل فضاء البيت الأسري أحد الفضاءات المهمة التي يهتم به القاص اهتمام خاص لما تتميز به من أهمية خاصة على الصعيد النفسي وبما تشير به عملية التذكر من أحاسيس ومشاعر³

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 14.

² ينظر/ محمد بوعزة، تحليل النص السردي، دار العربية للعلوم الناشر، الجزائر، ط1، 2010، ص 106.

³ فتحية داودي ورده عبد الهاب، بنية المكان في رواية انت لي لمنى مرشود، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، جامع غرداية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2020/2019، ص 42.

ويعرف كذلك على أنه " ذلك المكان الذي نحيا فيه ذكرياتنا والذي يتجسد لنا في صورة فنية"¹.

يعرفه غاستون باشلار بقوله " البيت جسد وروح، وهو عالم الإنسان الأول قبل أن يقذف الإنسان في العالم، كما يدعي بعض الفلاسفة الميتافيزيقي المتسرعين فانه يجد مكانه في مهد البيت."² ويضيف هو " ذلك المكان الذي نحيا فيه ذكرياتنا والذي يتجسد لنا في صورة فنية"³. وقد ورد في سيرة أبي راس العسكري اللعديد من البيوت التي ارتبط بها في مراحل مختلفة من حياته، سواء تلك التي نشأ فيها أو التي أقام بها خلال تنقلاته في طلب العلم أو أثناء التدريس. وتمثل هذه البيوت معالم مادية تعكس المحيط الاجتماعي والمعيشي الذي عاش فيه، كما تسهم في فهم ظروف حياته وتنقلاته داخل الحواضر العلمية والزوايا.

غير أن البيت الذي لفت انتباهنا من البيوت التي زارها أو مكث فيها أبي راس العسكري وتحدث عنها في سيرته، هو ذلك البيت الذي كان يقصده للشحاذة، في مشهد يعكس قسوة الظروف التي عاشها في صغره، وسعيه المبكر لتأمين قوت يومه في ظل واقع اجتماعي صعب. ويظهر هذا الجانب الإنساني من حياته حجم المعاناة التي ذاقها قبل أن يسطع اسمه في سماء العلم والمعرفة ونجد هذا في قوله بعد أن ذهب رفقت شقيقه الأكبر وبعض الطلبة الذين كان معهم " كانت رحلتي حملتي بعض الطلبة عن أكتافه، ومع ذلك أقرتهم وأسأل لهم في البيوت ما يأكلون، وإن عجزت عن السؤال في البيوت بعض الأيام ضربوني، وقد استمررت

¹ غاستون باشلار، جماليات الصورة تر : غادة الإمام، التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،

ط1، 2010، ص 293.

² غاستون باشلار، جمالية المكان، ص38

³ غاستون باشلار، جماليات الصورة تر : غادة الإمام، التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،

ط1، 2010، ص 293.

المشي سنين عريان القدمين" ¹ مما يعكس معناته التي عاشها في صغره ووضعه الاجتماعي المزري.

المبحث الثاني: المعرفة في النصوص الرحلية:

المطلب الأول: المعرفة الدينية.

ان أبو راس المعسكري في بدايات مسيرته العلمية، حرص على التكوين الديني المتين، فبدأ بحفظ القرآن الكريم وضبط أحكام تلاوته، حيث تلقى قراءته على رواية ورش عن نافع، وهو في سن صغيرة جدا فتعلمه وعلمه، وبعد أن رأى أنه حفظه للقرآن الكريم وأتقن قواعد تجويده، انتقل إلى دراسة الفقه على أيدي فقهاء مدينة أم عسكر، مواصلا بذلك رحلته العلمية في مجال العلوم الشرعية، ونجد هذا في قوله "فأتقنت على الشيخ المنصور القرآن برواية قالون (ورش)، عن شيخهما نافع ومن تلاميذ ورش أبو يعقوب ازرق... ولما أتقنت القرآن بأحكامه مع الأنصاف التي لشيخ ابن آزقاق والشيخ الطاهر ابن عمرو المغراوي وغيرهما - انتقلت الى قراءة الفقه، فقرأت عن فقهاء أم عسكر" ² ولم شد الرحال الى مدينة مغراوة ليتعلم الفقه فيقول "ثم سافرت أول صومي الى مازونة مدينة مغراوة... فلقيت على صغري مشقة المشي لكن ذلك شأن أهل السفر للعلم" ³ وهذا دليل على أنه بدأ رحلته في طلب العلوم الدينية وهو في سن صغيرة، ويتحدث عن الصعوبات التي واجهها ولكنه لم يستسلم فقد كانت ارادته في طلب العلم أكبر من تلك الصعوبات، مما يدل على عزمته وحرصه الشديد على تعلم دينه، كما أنه يقتدي بالعلماء الذين سبقوه في طلب العلم ويقول أن رحلاته لم تكن أسهل من رحلته فيقول كذلك شأن أهل السفر للعلم، فهو إحالة ال سنة العلماء والطلبة في الإسلام الذين جأبوا

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 19.

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 20.

³ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 20

البلاد رغم المشاق في سبيل نيل المعرفة الدينية/ فيظهر لنا أبو راس مدى ارتباطه بنهج السلف في طلب العلم، وتقديره لرحلة العلمية كوسيلة لاكتساب التكوين الديني.

وأثناء رحلته الى مغرورة النقلي بأحد الأولياء الصالحين فيقول " ولقد مررت بطريقي بالشيخ أبي عبد الله الشيخ محمد بن لبنة فوجدته قائم على عمله يغرس بستانا... فسألني عن وجهتي وهو في عباءة وبرنوس فقط وهو زي الكثير من الأولياء ألا ترى الى البشر الحافي لا نعل له أبدا، وابن الادهم سيد الأولياء في جبة فقط؟ فقلت له ذاهب الى مازونة، قال لم قلت لقراءة الفقه فقال والقرآن قلت له نعرفه بأحكامه ونصوصه وما يتعلق به، وقد انتفع بي الكثير من الطلبة في الأحكام ودرستها لهم، فمتلاً سرورا وعجبا، فدعى لي بنية صادقة بقوله جعلك الله المصنف الخليل وغيرها، وهذا لفظه وكأنه أشار الى غيب رمقة لحظة، فجاءت دعوته لي صادقة صدقا ورسخت في فؤادي رسوخا، فصرت لما قال كأني نشطت من عقال فحفظت المختصر حفظا وفهمته معنى لفظا ففي عامي الأول قرأت لطلبة الفرائض¹

وهذا يدل على ايمان الكامل لأبو راس المعسكري بالأولياء الصالحين فقد أمن أنهم أشخاص مقربين من الله تعالى، فبعد أن دعى له الشيخ في طريق رحلته الى تعلم الفقه يخبرنا في سيرته أنه لم يعد يشعر بالتعب وقد تعلم بسرعة فائقة ففي عامه الأول حفظ المختصر وفهم معناها وعلم الطلبة الفرائض وكل هذا بفضل دعاء التسهيل م الشيخ أبو عبد الله.

كما برز أبو راس الناصري في صورة الإمام الفقيه، لا سيما من خلال مناقشاته العميقة والمستفيضة لبعض القضايا الدينية مع علماء الجامع الأعظم، فقد أصبح يطلب في مثل هذه النقاشات لسعة اطلاعه وقوة حجته، وهو ما يعكس مكانته بين علماء عصره، ويؤكد عمق تكوينه الديني الذي اكتسبه عبر رحلاته العلمية وتواصله مع كبار الشيوخ في مختلف البلدان العربية ونجد هذا في مسألة الفتوى حول القهوة والدهان التي ذكرها في كتابه فتح الإله، حيث

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 21.

يقول: " ختلفت فيه الناس فمنهم مُتَعَالٍ في التحليل يرى ذلك قرينة ومنهم متغال في التحريم يراه كالخمر والحق أنه في ذاته لا إسكار فيه وإنما فيه تنشيط للنفس ويحصل من مداومته ضرورة تؤثر في البدن عند تركه كاعتیاد أكل اللحم بالزعران"¹ فيتحدث أبو راس عن التدخين مشير إلى اختلاف العلماء في تحريمه أو تحليل وقد إنقسموا إلى قسمين منه محرم شبهه بالخمر ومنهم محلل، فكان رأيهم وسط فقد رأى أن التدخين في ذاته لا يحمل ضررا مباشرا أو ذكرا منهي عنه ، وإنما هو خطر على الجسم إذا ما داومنا عليه.

وسئل كذلك في تطوان وهي مدينة بالمغرب الأقصى عن قوله تعالى: ((والذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا إليه)). فدون ما أجاب في كتابه فتح الإله ونجد هذا في قوله: " فأجبت بأن المعنى : وقال الذين كفروا لبعضهم بعضا وقوله ((للذين آمنوا)) المراد عن الذين آمنوا أي: عن شأنهم وتقليدهم الإسلام ولم كان ماتقلدوه خيرا ((ما سبقونا إليه)) فقال السائل: و((قال الذين كفروا للذين آمنوا)) إن الكفار قائلون، والمقول لهم ((الذين آمنوا)). فقلت لا وما معناه إلا ما قلت لك، ثم قلت: يا هذا لو كان كما تقول لكان ((ما سبقونا إليه) بالخطاب، لا بالغيبة، فحينئذ فهم، وسلم، واعترف بالحق، وأذن للصدق." ²

أما فتواه عن القهوة فهو لم يحرمها لأنه لم يجد دليل ديني يقول ذلك ولكنه لا يشجع على شربها وإنما يطلب من الناس الابتعاد عنها وذلك لما فيها ضررة على الجسم فيقول "

وقد كثرت هذا الأيام ويتعين على العاقل اجتنابها لعوارض فيها أما الدخان فشمه وسفه... مندرج ضمن المفسدات للعقول وفيه إضاعة مال لهذا ينصح بتركه وإن غاب النص الديني لتحريمه، ويستدل لذلك بقول مجهور الفقهاء مثل أحمد المقرئ صاحب نفح الطيب الذي قال فيه " لا نص عندي فيها صريح... " والشيخ أحمد بابا التمبكتي صاحب الديباج" يباح فيها

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 159

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 169.

القليل" وقال ابن عسكر صاحب الدّوح النّاشر "إنّ الثّبات كلّه مباح إلا ما يغطي العقل" والشيخ عبد القادر الفاسي النسابة الشهير والذي ينبغي اعتماده " تحريم الدخان لاعتراف كثير أنّه يحدث تفتيرا ويشارك الخمر في نشوته ويرخي الأطراف ويوهنها"¹

ومن الفتاوى الواردة في الرحلة أيضا ما تعلق بجواب أبو راس المعسكري عن سؤال جماعة من الطلبة ونجد هذا في قوله: "دخل علي جماعة من الطلبة، فقالوا: جاهل منا رغم أن الإمام إذا صلى بالقوم ناسيا للحدث، ولم يعلم المأمونون بحدثه، ثم علم ذلك بعد الفراغ من الصلاة تصح؟، فقلت: الإمام يعيد أبدا والمأمونون لا إعادة عليهم أصلا، قالوا: وما دليلك؟ قلت: قول المنصف (أي مصنف الشيخ خليل المالكي) ومحدثا إن تعمد أو علم مؤتمه، فهاتان صورتان تفسد فيهما صلاة المأمونين وأولى الإمام ومفهومه صورة واحدة وهي إذا لم يعتمد الحدث، والحال أن المؤتم لم يعلم، فتصح للقوم فطالعوا الشيخ الخراشي وغيره، فوجدوا ذلك كما قلت، فأكرموني غاية الإكرام"² وهذا يعكس جانبا من الفتاوى العملية والاجتهادات الفقهية التي قدّمها أبو راس المعسكري خلال رحلاته، ويبرز حضوره العلمي وثقته في ذاته كعالم فقيه، قادر على الرد على الأسئلة الدقيقة والمواقف التي تُعرض عليه من قبل الطلبة والعامّة. في هذه المسألة الفقهية المتعلقة بحكم صلاة الإمام إذا صلى بالناس ناسيا للحدث، فإن هذا الموقف لا يعكس مجرد فتوى، بل يجسّد مشهد لشدة معلافة أبو راس في الدين فلم يتند الى كتاب بحث في الأمر وإنما انت إجابة مباشرة بدليل قاطع ، ونلاحظ أن أغلب أجوبته اقتصرها على مذهبين فقهيين فقط وهما المذهب المالكي والمذهب الحنيفي، وذلك بحكم أن المذهب المالكي هو السائد في دول المغرب العربي، والذهب الحنيفي هو المذهب الرسمي السائد في الدولة العثمانية وهو عايشة فترة الوجود العثماني في الجزائر.

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 160/161.

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 162.

كما أنه سئل في رحلته الى تنس عن الذي يكون في مذهب وينتقل الى مذهب آخر ما هو حكمه نجد هذا في قوله في متاب فتح الإله: " وسئلت في تونس عن من انتقل من مذهب الى مذهب، ومن انتقل للجهتها دوم كان يفتي من المذاهب الأربعة...

فأجبت بأن الشيخ عبد الوهاب الشعراني قال: لم نعترض على من تمسك بمذهب من مذاهبهم ولا على من انتقل من مذهب الى مذهب، ...أما الذي طان يفتي الناس بالمذاهب الأربعة ... وقد قال امام النحاة محمد بن ملك " واذا كان العلوم مخارقات الهية واختصاصات لدنية، فلا بدع أ، يدخر الله تعالى لبعض المتأخرين مالم يكن لأحد من الأولين " ¹ فأبو راس المعسكري لم يعب من ينتقل من مذهب الى مذهب فهذا حسب رأيه قد فعله العديد من فقهاء وعلماء المسلمين، وختلا هو كان ينتقل بين المذهب الحنفي والمذهب المالكي في الاستشهاد كما ذكرنا سابقا.

كما كان لأبي راس المعسكري إسهام بالغ الأثر في خدمة الدين الإسلامي ونشر المعرفة الدينية، من خلال الملتقيات والدوائر العلمية والأسئلة ولكن جهوده في خدمة الدين الإسلامي لم تقتصر على التلقي والمناقشة والفتوى فحسب، بل تجاوز ذلك إلى التأليف والتدوين، فدوّن عصارة فكره وما حصّله من علم ومعرفة في عدد من المؤلفات التي عالجت قضايا العقيدة والفقه والتصوف، وبَيّنت مسائل شرعية عميقة بأسلوب يجمع بين التحقيق العلمي والتبليغ الدعوي، وقد ذكر مجموعة من مؤلفاته في كتاب فتح الإله ونذكر منها:

أول كتاب ذكره كان في القرآن هو كتاب " (مجمع البحرين، ومطلع البدرين ، يفتح الجليل، للعبد الدليل، في التيسير إلى علم التفسير)، في ثلاثة أسفار، ما أتركها قربي : في كل سفر

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 156.

عشرون «حزبا» طالما تكلم فيه ، نقلا من كتاب شيخ أو فيه مع الزمخشري والبيضاوي، وابن عطية وغيرهم فيالها من عطي، وكتاب (تقييد على الحراز والدرر اللوامع والطرارز)¹

أما كتبه في تفسير الحديث النبوي الشريف فقد ذكر العديد من المؤلفات من بينها كتاب " (الآيات البينات، في شرح دلائل الخيرات) بوصل اسانيد المحذوفة، في الكيفية والفضائل المحذوفة الا ما قل وندر، أو أعيد وتكرر، وربما الحبر الكلام إلى تنبيهات وكلمات ، وفوائد من الحديث ، مهمات ، مما غفل عنه الشيخ المهدي " في شرحه ، والشيخ العربي في حاشيته. وكتاب (مفاتيح الجنة وأسناها، في الأحاديث التي اختلف العلماء في معناها) وكتاب (السيف المنتضي فيما رويت بأسانيد الشيخ مرتضي (الزبيدي)²

أما في الفقه فقد ذكر كتاب "(درة عقد الحواشي على جيد شرحي الزرقاني والخراسي) في ستة اسفار، وقد تكلمت فيها " مع علماء كبار، مهم: الشيخان الراسخان الشامخان، سيفا السنة الأمضى، منحهما الله العفو والرضى : الفقيه الأصفى الشيخ مصطفى، ومحتي الرزقاني ، محمد بن الحسن البناني ، بؤهم الله دار التهاني، وكتاب (الأحكام الجواز، في نبذ من النوازل) و(نظم عجيب في فروع، قليل نصها مع كثرة الوقوع)، وكتاب (الكوكب الدري، في الرد بالجدي)، و(ما رواه الواعون، في أخبار الطاعون) و (النبذة المنيفة ، في ترتيب فقه أبي حنيفة)، و (المدارك في ترتيب فقه الإمام مالك)³

التوحيد والتصوف فقد ذكر كتاب "(الزهر الألم ، في شرح الحكم) وكتاب (فتح الإله، في التوصل إلى شرح حكم ابن عطاء الله) . والله يعيننا على اكماله بحق محمد وآله ، وكتاب(الحاوي لنبد من التوحيد والتصوف والأولياء والفتاوي) .. وكتاب (كفاية المعقد ،

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 181

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 181.

³ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 182.

ونكاية المنتقد) .. على شرح «الكبرى» للشيخ السنوسي ، التي حتى عليها الشيخ الحسن اليوسي ، فكانت في سبيله أذهب ، وعلى قلبه أضرب" ¹

وتعد هذه المؤلفات من المصادر الهامة التي ساهمت في ترسيخ الهوية الإسلامية ومقاومة التيارات الفكرية الوافدة، كما عكست بوضوح سعة اطلاعه وعمق فقهه، وحرصه على خدمة الأمة دين وفكر.

المطلب الثاني: المعرفة العلمية.

ان الدافع العلمي في الرحلة يعتبر من أشهر دوافع الرحلة وأكثرها شيوعا وهذا راجع لسبب أو لآخر، فمثلت حياة أبي راس في محال طلب العلم من خلال رحلاته المتنوعة التي قام بها وسافر إلى مختلف ربوع العالم، أو بالأحرى وبالأخص رحلاته حول المشرق العربي، وهذا ما يعكس في كتاباته ومعرفته العلمية والدينية والاجتماعية وتميز كذلك بقوة الشخصية وانفتاح على الثقافات الأخرى، وقد تحدث في كتابه فتح الإله عن رحلاته العلمية وما اكتسب منها. سافر أبو راس إلى المشرق مرتين، قرار الشام والحجاز ومصر، والتقى بعلمائها في القاهرة والإسكندرية، ومكة المكرمة والمدينة، وانتقل إلى المغرب الأقصى وتونس، والتقى بعلماء البلدين في فاس وتونس وغيرهما، ولم تكن رحلته إلى هذه الديار للتحصيل العلمي فقط بل المناظرة والتفاوض حول بعض المسائل العلمية، والقضايا الدينية، فلم تكن مراكز العلم في المغرب الأوسط أقل شأنًا من نظيرتها في المشرق" ²

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 182.

² ينظر/ خالدية بن شرقية، سيهام بن نافلة، أدبية الرحلة في فتح الإله ومنته لأبي راس الناصري المعسكري، مذكرة مقجمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، جامعة ابن خلدون تيارت، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية

والآداب العربي، 2019/2018، ص 76.

بعد انتقال أبو راس الى المغرب وهو صغير عند أخوه تعلم القرآن وأحكامه وحفظها، كما بدأ أبوراس المعسكري بقراءة الفرائض على الطلبة، وقرأ كذلك كتاب المصنف ونجد هذا في قوله في قوله "صرت في المصنف لا يشق غباري، ولا يجري سابق في مضماري"¹ فقد تعلم كتاب المصنف وعلمه لطلبته، وذاع صيته في آفاق المشرق والمغرب، ثم قام بالانتقال الى مدينة معسكر وقدم دروس هناك في الفقه وأحكام القرآن.

أما رحلاته داخل الجزائر فقد التقى بالعديد من العلماء الذين تناقش معهم في بعض المسائل كما أنه سئل عدة أسئلة ومن هؤلاء العلماء فقد طرح على أبي راس أثناء وجوده في قسنطينة سؤال يتعلق "بقول الحسن بن زياد لأبي حنيفة أني أكل الميتة وأحب الفتنة، وأكره الحق، وأشهد بما لم أراه"²

ذا القول إذا أخذ بظاهره يُفهم على أنه قول فاسد، فيه معصية وكذب، ولكن المعنى الحقيقي وراءه مجازي، وقد فسره أبو راس تفسير دقيق يظهر علمه وبراعته في التأويل فيقول بأنه أجاب على هذا السؤال بقوله: " فأجبت أن الميتة الجراد والسماك، والفتنة هي المال والولد، والحق هو الموت، والشهادة مالم يراه هو بأن يشهد بأن الله وحده لا شريك له "³ فكان تفسيره آكل الميتة" أي أنه يأكل الجراد والسماك، وهما من الميتات التي أٌبيح أكلها شرعا، وتفسيره لجملة أحب الفتنة المقصود بها المال والولد، وهما من زينة الحياة الدنيا، وقد قال تعالى: "إنما أموالكم وأولادكم فتنة، وأكره الحق كان يقصد به الموت، لأن النفس بطبعها تنفر من الموت رغم أنه حق لا مفر منه، أما الجملة الأخيرة أشهد بما لم أراه أي أنه يشهد بوحداية الله تعالى، رغم أنه لم يره بعينه، وهذا من الإيمان بالغيب.

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 21.

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 119.

³ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 119.

وفي الأخير نستنتج أن هذا السؤال لم يكن لاختبار الدين، بل لاختبار الفهم، وقد أجاب أبو راس إجابة تدل على فقهه العميق، وقدرته على تأويل النصوص وفق مقاصد الشريعة ومعاني اللغة.

كما سأله مرة الشيخ القاضي الماني السيد محمد بن جعدون الذي سأله عن معنى قول المصنف يقول "ثم قال لي بعد العشاء ما معنى قول المصنف... فقلت له ما حضرتي وبقي في قلبه شيء ولما طالع الكتب سلم وطلب خاطره"¹

كما تناقش أبوراس في عدة مسائل أصولية ونحوية ولغوية وتوحيدية ففي مجال اللغة لقد ذكر في كتابه أن تناقش في مسألة المجاز يقول: "أن يكون الكلام جارية على أسلوب مجاز الحق بتقدير مضاف أي: يا ثم قتلتني من اضافة المصدر إلى مفعوله، أي: يا ثم قتلتك أيي العريضني بأن عبد الحكيم قال في حواشي المطول لا يسوغ ارتكاب المجاز إلى عند تعذر الحقيقة"²

كما قد سئل أبو راس المعسكري في تلمسان عن كلمة رَشَدَ الواردة في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: "من يطع الله ورسوله فقد رشد" هل تُقرأ بفتح الشين (رَشَد) أم بكسرها (رِشَد)؟ فيقول "وسئلت بتلمسان عن «رشد» أتفتح شينه أم تكسر؟ ففي حديث مسلم الله و "سنن أبي داوود": أن ثابت بن قيس بن شماس خطيب الأنصار ، قال بحضرة رسول الله (من يطع الله ورسوله فقد رشد) (بفتح الشين) فأجبت: بما في «المصباح : أن «رشد»، من باب تعب، وقتل ، فهو أرشد ، والاسم الرشاد ، ويتعدي بالحمزة « هـ. وكذا لغيره. قال الخفاجي : « فشين رشد مفتوحة في الحديث، وهو المشهور رواية ، ويجوز كسرها ، وروي أنه من باب علم أيضا . قلت : ومن الغريب ما حكاه تاج الدين السبكي في «طبقاته» : أن شهاب الدين ابن المرجل

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 91.

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 93.

(10) قرأ على الحافظ المنذري (142) رشد - بكسر الشين - فرد عليه ، وقال : رشد بالفتح - فقال: قال الله العظيم : «لعلهم يرشدون» . ه فقال ابن المرحل : وكذلك قال : « فأولئك تحرو رشدًا» ... لأن فعل المضموم مضارع فعل المفتوح أو المضموم، والثاني مفتوح ، فتعين الأول ... ¹ هذا سؤال لغوي دقيق، يتعلق بالنطق الصحيح للكلمة في سياق الحديث النبوي، فالصحابه والعلماء كانوا يعتقدون جدًا بكيفية نطق القرآن والحديث، لأن التشكيل قد يغيّر المعنى، لذلك، يسأل الناس أحيانًا العلماء: ما الوجه الأصوب؟ هل "رَشَد" بفتح الشين؟ أم "رِشَد" بكسرهما؟

وكانت إجابة أبو راس ممزة حيث قال " قلت : ومن الشارة الغيب أن ابن رشيد الفهري - صاحب الرحلة» المشهورة -حضر «الجمعة» بالجامع الأعظم بتونس، مسمع الخطيب على المنبر يقول : « ومن يطع الله ورسوله فقد رَشَد" - يفتح الشين - فقال : وقلت له : بكسرهما، فلم يرجع، فلما قدمت لتلمسان، ذهبت لشيخنا الشيخ ابراهيم المصمودي، فأول ما وقعت عيناه علي، قال : رشدت، و رشدت با ابن رشيد ! اللغتان فصيحتان. ² فكانت اجابته أن الرواية الصحيحة في الحديث هي بالفتح: "رَشَد". واستدل بما ورد في "المصباح" (معجم لغوي)، أن الكلمة تأتي من باب "تَعَبَ"، و"قَتَلَ"، فيُقال: "أرشد" الرجل أي اهتدى، والاسم هو "الرَّشاد". كما يجوز كسر الشين أيضًا، لكنه أقل شهرة، كما حكاه الخفاجي وابن هشام.

ما أورده أبو راس هنا يعكس ثراء النص الرحلي بالمواقف العلمية الدقيقة، ويبين كيف كان العلماء يحملون معهم فقه اللغة، والحديث، والأصول، في ترحالهم، ويخدمون بذلك اللغة العربية والدين الإسلامي من خلال الفتوى والنقاش العلمي والتأصيل في كل موضع يمرون به، فقد برزا هذا المقطع لنا عدة جوانب من المعرفة العلمية التي كان يتمتع بها أبو الراس فكانت له

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 174.

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 175/174.

سعة علمية للغوية وشرعية، كما كان يعتمد في اجاباته الى الرجوع لمصادر اللغوية والمذهبية اطلع عليها من قبل، كم تميز بالحس العلمي والتربوي في تلقي السؤال، وتمحيصه، ثم الإجابة عليه بالحجج، وحرصه على تدوينه ليكون عبرة وتعلماً لغيره.

ومن بين المؤلفات التي تركها بعده لتفيد من لم يعايش عصره نذكر من بينها:

كتبه في علم النحو كتاب "(الدرة اليتيمة) التي لا يبلغ لها قيمة ، ذات الأنقال التي أغزر من هاتون الديمة ، الشامخة القرى ، الحاشية الكبرى، على شرح المكودي، وبها يفك ويقرأه ، وكتاب (النكت الوفية، بشرح المكودي على الألفية)، وهي الصغرى، تكلمت فيهما مع الشراح النبلاء ، والتحشين الفضلاء ، وقتفت كل في البحث والصنيع ، وإن كان الضالع لا يبلغ شأو الصنيع ، وكتاب (عمدة الزهاد، في اعراب كلاشي وجنت بلا زاده) و(نفي الخصاصة في احصاء تراجم الخلاصة)"¹

كتبه في البيان ذكر كتاب واحد فقط في كتاب فتح الإله وهو كتاب (نيل الأمانى على مختصر سعد الدين التفتزاني)². أما في المنطق فألف كتاب (القول المسلم. في شرح السلم). حذوت فيه حذو أهل المعقول الجهابذ، وأهل الميزان الأسانيي وفي الأصول ألف كتاب (رزقني الله الحفظ والحصول لما ببضت على شرح المحلى والوصول) ، لتسويد تلك الطروس، الرجاء تبيضها في يوم العبوس.³

وأما الأدب فكان له العديد من المؤلفات نذكر منها: "(النزهة الأميرية، في شرح المقامات الحريرية) ، فهو أسم حجماً، وأغزر أدباً وعلماً و كتاب (الحلل الحريرية، في شرح المقامات

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 181.

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 181.

³ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 181

الحريرية) ، وهو الشرح الثاني الأكبر، وأفخر كتب الأدب وأخبر ، ذو تحف وتحقيق وبيان ، وليس الخبر كالعيان ، اشتمل على باب الأدب، واسل اليه من كل حذب ، مع مواظم مبكية، ومضحكات ملهية¹

أما في علم العروض فألف كتاب "(شرح مشكاة الأنوار، التي يكاد زينها يضيء ولو لم تمسسه نار) النظم الأرماز الوالي ، يعلم العروض والقوافي، الذي كاد الخزرجي أن يجعله بزياء مجهل، لولا الحسني ومالك بن المرحل، فكيف بعلم يشرح ويمحي ، وهو كله إيماء ، فكان لشدة الايجار ، أن يكون من الأنجاز." ²

أما في شرح القصائد فله الكثير ممن الشروحات وضعها على شكل كتب يمكن الاستفادة منها في شرح بعض القصائد المشهورة ومن بين هذه المؤلفات نذكر كتاب "(البشائر والاسعاد في شرح بنات سعاد) لمشاعر الشهير، الصحابي كعب بن زهير ، شرحتها شرحا سريا لطيفا، تكلمت فيه مع ابن هشام وعبد اللطيف و كتاب (نيل الأرب، في شرح لامية العرب)، للفتاك الجاهل السنفرا و (كل الصيد في جوف الفراء) و (ازالة الوجم، عن قصيدة «لامية العجم»)، للرئيس الأديب الكتاب الطغراني، فكم شرحها من عالم ورواها من راو و كتاب (الوصيد في شرح « سلوانية الصيد»). و كتاب (الدرة الأنيقة، في شرح العقيقة) والشرح الثاني : (طراق شرح المرداسي ، القصيدة المنداسي) . والشرح الخامس : (الحلة السعدية في شرح القصيدة/ السعيدية)، والشرح سادس: (الجمان في شرح قصيدة ابي عثمان) والشرح السابع : (نظم الاديب الحسيب ، الجامع بين المدح والنسب والتشبيب) ، فليعتبر الذي من أهلها ، وقل من مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمثلها فهي سبعة شروح و كتاب (الرياض المرضية

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 182

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 182

، في شرح «الغوثية»). وقد تكلمت مع مؤلفها في شرحه لها لما يشفي ويكفي. وقد قال الحكماء: و جواب أوضح لبسا، خير من مال أغنى¹.

وفي الأخير ذكر بأنه يريد أن يشرح صحيح البخاري ونجد هذا في قوله " وان اكمل الله الأمنية بتراخيمنية ، أشرح «صحيح البخاري» ، بماء كالسيل الفسيح الجاري"².

وعليه من خلال ما سبق نستنتج أن الرحلات محمد أبوراس المعسكري أثناء رحلته التي قام بها داخل الجزائر وخارجها التقى بالعديد من العلماء والفقهاء الذين تناظر معهم في قضايا عديد ومسائل مختلفة وقد طرحوا عليه العديد من الأسئلة في مجالات كثيرة ومتنوعة فكانت اجاباته كلها مستندة الى دلائل ولذلك لقب بالعديد من الالقاب لسعة علمه.

المطلب الثالث: المعرفة الاجتماعية.

قدّم أبو راس معرفة اجتماعية مهمة من خلال رصده للأحداث الكبرى التي شهدتها المجتمعات الإسلامية في زمانه، ومن أبرزها حملات نابليون على مصر وبلاد الشام، وذلك من خلال آثارها على المجتمع الإسلامي عامة، وعلى المجتمع مصر والشام خاصة عندما زار مصر بمناسبة الحج مرتين مرة قبل الحملة ومرة بعدها، فقد أتاحت له الفرصة في الحجة الثانية أن يرى بنفسه آثار الحملة على مصر والشام وما سمع من العلماء وغيرهم³ فقد حاول أبو راس من خلال كتاباته التاريخية أن يحلّل السندسية في شأن وهران والجزيرة الاندلسية يحاول تقليص أسباب دخول نابليون بونابرت إلى المشرق العربي وكيفية دخوله وما حدث فيها،

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 182.

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 183.

³ أبو القاسم سعد الله، الحملة الفرنسية على مصر والشام في رأي المؤرخ أبي الراس الجزائري، في المجلة

ومواقف الممالك اتجاه الفرنسيين من خلال مقاومتهم الفاشلة، وانتهاج بالمليون سياسة التصفية الجسدية للممالك عندما توغل بالداخل¹ فقد ستمع الى شهادات العلماء والأهالي ممن عايشوا الحدث، ومن خلال كتاباته التاريخية، سعى الى تحليل الموقف العثماني تجاه وهران والجزيرة الأندلسية، كما حاول تقديم تفسيرات لأسباب دخول الدولة العثمانية فيها، وقد نظرا أبو راس حسب رأي أبو القاسم سعد الله "للحملة الفرنسية رؤية دينية وعالجه وفق ما عرفه محيطه، لأنه عاش في بيئة صارعت الإسبان أكثر من ثلاثة قرون في الأندلس والمغرب الإسلامي، ولذلك لا يمكنه أن ينظر بعين الرضى إلى أعمال الفرنسيين في مصر والشام"² فقد شكلت الحملة الفرنسية على مصر والشام بالنسبة لأبو راس المعسكري حدث ذا أبعاد دينية واجتماعية، حيث لم ينظر لها نظرة محايدة بل عاجها ضمن منظور ديني اجتماعي مرتبط بالواقع الإسلامي.

تألم أبو راس بشدة حين بلغه خبر دخول الفرنسيين إلى الجامع الأعظم، وما رافق ذلك من انتهاك لحرمة المكان، حيث أشار بأسى إلى قيامهم بتشتيت الكتب المودعة في خزائنه ونهب محتوياته، كما لم يغفل في وصفه عن التطرق إلى الأوضاع الاجتماعية الصعبة التي عانت منها مصر خلال تلك الفترة ونجد هذا في قول أبو راس: " ودخلوا جامعها الأعظم فأهين أشد إهانة ولتوا خزائن الكتاب التي به وداسوها بالأرجل وحوافر الخيل إن لله وإنا إليه راجعون ونهبوا بعض عمالها لاتهمهم إياه بودائع الغزو ومظاهرم وأخذوا الموالا كثيرة من

¹ ودان بوغوفالة، الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا المغاربية، دراسة تاريخية تحليلية في نماذج من تحليلية

في نماذج كتابات القرن 19، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004، ص 91.

² أبو القاسم سعد الله، الحملة الفرنسية على مصر والشام في رأي المؤرخ أبي الراس الجزائري، المرجع

السابق، ص 44.

شاء الغزو فضلا عن النهب، وانقلبوا أهل مصر بالضرائب المتكررة الكبيرة وشن الاغارات في الغزو¹

وأدرج الحملة الفرنسية على مصر وبلاد الشام وتحدث عن الانتهاكات التي قامت بها فرنسا في هذه الحملات في كتابه فتح الإله في القسم الثاني من الكتاب أثناء حديثه عن شيخه الشيخ عبد الله الشرقاوي " ولما دخل الكفرية مصر والزموا المسلمين المحبوب وطاقة كما يدافع عنهم على قدر الجهد والطاقة ولم يأل نصمحا، ولم يطو -دونهم - كشحا، بل سعي سعي الكرام إلى أن فرج الله بعد ثلاثة من الأعوام، والثاني فيها في وصف وأوام... فكان المسلمين الجنب وكف كثيرا من النصارى المجال كلام واطناب... " ²

كما عبّر أبو راس عن رفضه الشديد للوجود الفرنسي في مصر بقيادة الجنرال بوناپرت، الذي انتهج سياسة التهديد والترويع بالقتل، ما دفع العديد من سكان المدن كأهل بكار وصيدا إلى الفرار، كما ارتاحت بلاد الشام من هذا التسلط، إذ واجهه أهل دمشق بالرفض، وهم أهل القدس بمغادرة ديارهم خشية المصير ذاته.

وقد رفض أبو راس المعسكري هذه الحملات لأنها "مست بالرموز والمقدسات وإهانتها ونهب ما وجد وعاثا وافسد، حيث تحدث أو راس من اخلافهم بأنهم مخادعون وقائدهم نابليون طاغية وهو عدو الله" ³ فالحملات الصليبية لم تقتصر على التهديد فقط، بل تجاوز إلى انتهاك الرموز والمقدسات ونهب الممتلكات، وهو ما اعتبره أبو راس تعدي على الدين والكرامة،

¹ نقلا عن أبو القاسم سعد الله، الحملة الفرنسية على مصر والشام في رأي المؤرخ أبي الراس الجزائري،

المرجع السابق، ص 305.

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 62.

³ ينظر/ ودان بوغوفالة، المرجع السابق، ص 92.

وقد وصف الفرنسيين بالمخادعين، ونعت بونابرت بالطاغية، مؤكّد أن أفعالهم أبعد ما تكون عن الإنسانية، بل هي أقرب إلى الظلم والجبروت.

ومن بين المراجع التاريخية التي دوّن بها أبو راس خلال رحلاته في كتابه فتح الإله الذي تحدث فيه عن سيرته الذاتية وعن جميع رحلاته تقريبا وصنف هذا الكتاب على أنه سجل زاهر بتجربته المعرفية والاجتماعية، حيث لم يقتصر على التوثيق للأحداث والأماكن التي زارها فحسب، بل قدّم من خلاله وصف دقيق للأحوال الاجتماعية، وقد تحدث عن العديد من مؤلفاته في التاريخ فكانت كتاباته مرآة صادقة لواقع اجتماعي متنوع، عايشه عن قرب، وسعى إلى توثيقه وتحليله برؤية نقدية ووعي ديني عميق سابق لأوانه ومن بين هذه المؤلفات نذكر أو كتاب ذكره كان بعنوان " (زهرة الشماريخ، في علم التاريخ) ، تكلمت فيه مع ابن خلدون وغيره"¹

ومن ثم انتقل إلى كتاب الثاني وهو كتاب بعنوان " (المني والمنى والسول، من أول الخليفة إلى بعثة الرسول) ، مع أخبار الجان، كتحف دور ومرجان " ² وبعدها قام بتعداد العديد من الكتب دون شرح وهم " كتاب در السحابة، فيمن دخل المغرب من الصحابة، و كتاب در الشقاوة ، في حروب درقاوة. أولها آخر صفر من سنة عشرين ومائتين وألف أجازنا الله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن ، و كتاب المعالم الدالة الفرق الضالة و كتاب الوسائل إلى معرفة القبائل " ³

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 180.

² أبو راس، فتح الإله في منته، ص 180

³ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 181.

وفي الأخير قدم كتاب بعنوان كتاب النظم المسمى و واحد السندسية، فيما جرى بالعدوة الأندلسية وهذا الكتاب كان مرتبط بالعدد من الكتب التي جأت بعده فكانت منها ما كانت كشرح له أو أجزاء مكمله.

" كتاب النظم المسمى و واحد السندسية، فيما جرى بالعدوة الأندلسية) وشرحها الأول: (القصص المعرب عني الخبر المغرب ، عما وقع بالاندلس والغور المغرب)، والثاني: (غريب الاخبار، عما كان بوهراة والأندلس مع الكفار) . و (روضة السلوان ، المؤلفه ممرسى تطوان). و (نباة العمر، من أبناء العمر، بأبناء ملوك ورؤساء، ومن أحسن منهم ومن أساء)"¹

تبيّن من خلال النصوص الرحلية التي دوّنها أبو راس العسكري أنّ رحلاته لم تكن مجرد تنقلات مكانية، بل كانت فسحة لاكتساب معارف متعددة، كان للجانب الاجتماعي فيها حضور لافت، فقد سجّل بعين المؤرخ ووعي الفقيه والمصلح أحوال المجتمعات التي زارها، وتوقف عند أنماط العيش، والعلاقات بين الحكام والمحكومين، كما جاءت مؤلفاته التاريخية لتعزز هذه المعرفة الاجتماعية، وبهذا ساهم أبو راس في إثراء المعرفة الاجتماعية من منظور تاريخي وديني، جاعلاً من رحلاته مصدر هام لفهم بنية المجتمعات الإسلامية في عصره.

¹ أبو راس، فتح الإله في منته، ص 181.

الخاتمة

الخاتمة:

لقد شكّل أدب الرحلة مجالا لتقاطع المكان بالمعرفة، وأبرز قدرة الرحالة على استثمار الفضاءات التي يجوبونها في اكتساب العلم وبناء وعي اجتماعي وثقافي وديني، ومن خلال تناول رحلات أبي راس الناصري المعسكري، اتضح أن تجربته الرحلية لم تكن مجرد تنقل فقط، بل كانت حركة تواصل معرفي تفاعلي مع الأمكنة، سعى من خلالها إلى توسيع أفقه الديني والعلمي والاجتماعي.

وقد استخلصنا في نهاية هذا البحث الى مجموعة من النتائج المهمة منها:

- لقد عرف الانسان الرحلة منذ العصور القديمة ومارسها العرب كفعل طبيعي في سائر العصور وأنجزت لظروف وأسباب معيشية مختلفة، وكانت العناية بها متواصلة على مر العصور.
- من أهم الرحلات الي عرفها العرب في القديم هي رحلات الحج أو رحلات طلب العلم.
- ان ما نستخلصه من أدب الرحلة هو أن هذا الأدب يحتوي على قيمتين بارزيتين هما القيمة العلمية والتي تكمن في تلك المعارف الاجتماعية والاقتصادية والمعرفية، وقيمة الأدبية فتتجلى فيما يحمله الكاتب مم سرد ووصف مشوق لرحلاته.
- ان المكان في رحلات أبي راس عنصر محفز للمعرفة، إذ كانت كل مدينة أو قرية يزورها فضاءً لاكتساب علم جديد أو تقوية صلة معرفية مع شيوخ وعلماء تلك المنطقة.
- ساهمت الأمكنة الدينية مثل المساجد والزوايا في ترسيخ البعد الروحي والديني لديه، وكان لها دور بارز في تلقّي العلم وتبادل الفتاوى والنقاشات الفقهية.
- ان الرحلتين الى الحرمين الشريفين كانت من أهم الرحلات التي قام بها أبو راس في مسيرته الرحلية، وكان هذا من أجل التعبد وأخذ العلم ولقاء المشايخ والفقهاء.

- وثّق أبو راس الحياة الاجتماعية والثقافية للأمكنة التي زارها، مما يجعل من رحلاته مرآة صادقة لحياة المجتمعات في زمنه، وأداة لرصد العادات والتقاليد والممارسات اليومية.
- برز تفاعل المكان مع المعرفة في شكل إنتاج معرفي متنوّع، حيث ألف أبو راس عدد من الكتب والفتاوى والشروحات نتيجة لتجاربه الرحلية، مما يعكس أثر الفضاء الرحلي على الحركة الفكرية والعلمية لديه.
- يعتبر أبو راس الناصري من أهم علماء الجزائر وذلك لما تركه من تراث وإنتاج فلم يقتصر على التأليف في مجال معين، وإنما تعدى ذلك الى مختلف المجالات فألف في تفسير القرآن والحديث وألف في المنطق وعلم العرض، وكذا النحو وغيرها.
- لقد وظّف أبو راس اللغة في كتاباته بشكل يعكس ثقافته الموسوعية، ومكننا من تتبع أثر المكان في توليد محتوى معرفي متماسك ومنهجي.
- وفي الأخير يمكننا القول أن كتاب فتح الإله يمكن أن نعتبره من أهم الكتب التي ألفها أبو راس وقام يتقسم هذا الكتاب الى خمسة أقسام، وتحدث في القيم عن شيء مختلف فقد صور لنا حياته ومسيرته العلمية والمعرفية وماذا اكتسب من خلال هذه الرحلات التي قام بها في المشرق والمغرب وحتى الرحلات الداخلية التي قام بها في الجزائر.

الملاحق

الملحق رقم 1.

1. ملخص الكتاب.

يُعدّ كتاب "فتح الإله" من أبرز المصادر المرجعية التي تسلط الضوء على الحياة الذاتية والعلمية لأبي راس الناصري العسكري، نظرا لما يتضمنه من معطيات دقيقة ومعلومات موثوقة ذات أهمية كبيرة في دراسة شخصيته ومسيرته الفكرية، والنسخة التي بين يدينا قام بالتحقق وضبط عليها محمد بن عبد الكريم الجزائري وقد جاء هذا الكتاب مقسم الى خمسة أقسام فقد اهتم أبو راس بتنظيم مادته العلمية والسردية.

الباب الأول: أبدأ أمري.

فجاء الباب الأول بعنوان "ابتداء أمري"، خصصه أبو راس للحديث عن حياته الشخصية ونسبه، حيث تناول فيه مولده، ونسبه الشريف فتحدث عن والده ونسب أمه وحتى جده، وتحدث أيضا عن طفولته وكيف أن والدته توفيت وعاش مع والده ومن ثم مع أخوه وأدرج في كتابه الحياة الصعبة التي عاشها في طفولته، كما تحدث عن بعض الشخصيات من أسرته أو شيوخه إضافة إلى إشارات عن أجداده الذين تميزوا بالهمة العالية والمكانة المرموقة، كما تضمّن هذا الباب كذلك وصف لخطواته الأولى في طلب العلم ورحلاته العلمية المبكرة، مما يعكس شغفه بالتحصيل المعرفي وتكوين الذات العلمية منذ نعومة أظفاره.

الباب الثاني: في ذكر أشياخي النافضين عن قشب أوساخي: شريعة وحقيقة وقرآن وطريقة.

فالقسم الثاني من الكتاب خصصه أبو راس لذكر شيوخه، وأسماء: "في ذكر أشياخي النافضين عن قشب أوساخي: شريعة وحقيقة وقرآن وطريقة"، وهو عنوان ينمّ عن تواضع المؤلف ووفائه، واعترافه بالجميل لمن أخذ عنهم العلم ورافقهم في دروب المعرفة، وقد ابتداء هذا الباب بوالده فهو أول شيخ له علمه القرآن الكريم، ثم ختمه بالشيخ السنوسي بن السنوسي، لقد جمع أبو راس في هذا القسم ما يقارب خمسين شيخ، التقى بهم وتتلّمذ على أيديهم في

مختلف مجالات المعرفة، كما تنوّعت العلوم التي نهلها عنهم بين اللغة، والتصوف، والفقه، والتفسير، وغيرها من العلوم المتداولة في عصره، مما يعكس ثراء زاده العلمي وتنوع مداركه.

الباب الثالث: في رحلتي إلى المشرق والمغرب وغيرهما، ولقاء العلماء الأعلام، وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام.

لقد أطلق عنوان "في رحلتي إلى المشرق والمغرب وغيرهما، ولقاء العلماء الأعلام، وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام"، على الباب الثالث من الكتاب وهو بمثابة سجل رحلي زاهر، عرض فيه أبو راس تفاصيل رحلاته العلمية، مبتدئاً من ربوع الوطن الجزائري، ثم منطلقاً إلى أقطار عربية أخرى ك تونس، ومصر، وبلاد الشام، وهذا القسم من الكتاب قد أفادنا كثيراً في بحثنا، ومن ثم اختتم رحلته في مدينة العريش بشمال سيناء، وقد ضمّن هذا الباب لقاءاته مع العلماء، وما دار بينه وبينهم من مناظرات علمية ومراجعات فكرية، مما يعكس نشاطه العلمي وتفاعله الواسع مع محيطه الثقافي والديني.

الباب الرابع: في الأسئلة وما يتعلق بها."

وجاء الباب الرابع على شكل أسئلة طرحت على أبو راس في حياته اليومية أثناء رحلاته وقد قام بالإجابة على هذه الأسئلة بطريقة احترافية بدلائل، ويتميز هذا الباب بكونه باب علمي خالص، جمع فيه أبو راس جملة من المسائل التي طرحت في مجالس العلم التي حضرها، كما وثّق فيه الحوارات والنقاشات التي دارت بينه وبين كبار العلماء والمشايخ، موضحاً آراءه ومواقفه في مختلف القضايا المطروحة، بما يعكس عمق تكوينه الفقهي وسعة اطلاعه.

الباب الخامس: المسجّد والإبريز في عدة ما ألفت بين بسيط ووسيط ووجيز.

الباب الخامس وهو آخر قسم في الكتاب جاء على شكل موسوعة ختامية تحدث فيه عن أهم مؤلفاته التي ألّفها عبر مسيرته العلمية، مع توضيح مضامينها وشرح بعض ما ورد فيها من عناوين ومفاهيم، وقد حرص على تصنيفها وفق لطبيعة .

وفي الأخير يمكننا القول أن كتاب فتح الإله يعتبر وثيقة ترجمّة شاملة لحياة أبي راس الناصري، حيث يكشف عن تفاصيل دقيقة تتعلق بسيرته الذاتية، وتكوينه العلمي، وصلاته بالعلماء والمشايخ، ونشاطه التألّفي ومواقفه الفكرية.

2. منهج أبي راس في كتاب "فتح الإله":

لقد اتبع أبو راس الناصري في كتابه فتح الإله منهج توثيقي تاريخي تحليلي ذاتي، يقوم على المزج بين التوثيق التاريخي والسرد الذاتي، وهو ما يجعل الكتاب يتجاوز كونه مجرد سيرة ذاتية ليصبح وثيقة علمية وثقافية متعددة الأبعاد. وقد اعتمد في منهجه على:

- قسّم محتويات الكتاب إلى أبواب منظمة تعكس المراحل الأساسية من حياته (النشأة، الشيوخ، الرحلات، الأسئلة العلمية، المؤلفات). هذا التقسيم يعكس وعي منهجي واضح وترتيب فكري دقيق.
- وثق أبو راس أسماء الشيوخ والعلماء، وأماكن اللقاءات، والموضوعات العلمية المتناولة، مع الحرص على نقل الحوارات والمجالس العلمية، ويلاحظ ميله إلى ذكر المصادر أو السياقات التي تلقى فيها العلم، ما يمنح الكتاب قيمة تاريخية ومعرفية.
- لم يكتف بالسرد بل حلّل بعض الأحداث وعلّق عليها، خاصة ما يتعلّق بالعلوم التي تلقّاها أو الأسئلة التي ناقشها. كما يعبر عن آرائه وانطباعاته، وهو ما يعكس بعد نقدي ذاتي في منهجه.
- قدم أبو راس تجربته الذاتية كمنبع أصيل للمعرفة، فالسرد قائم على تجربة عينية تنقل تفاصيل دقيقة عن حياته، رحلاته، ولقاءاته بالعلماء، وهو منهج أقرب إلى الأنثروبولوجيا الذاتية.
- يظهر في أسلوبه المنهج الموسوعي وذلك من خلال الميل إلى الإحاطة الواسعة بالمعارف، حيث يتنقّل بين الفقه، اللغة، التصوف، التاريخ، الجغرافيا، وغيرها.

3. أسلوب أبي راس في الكتاب فتح الإله:

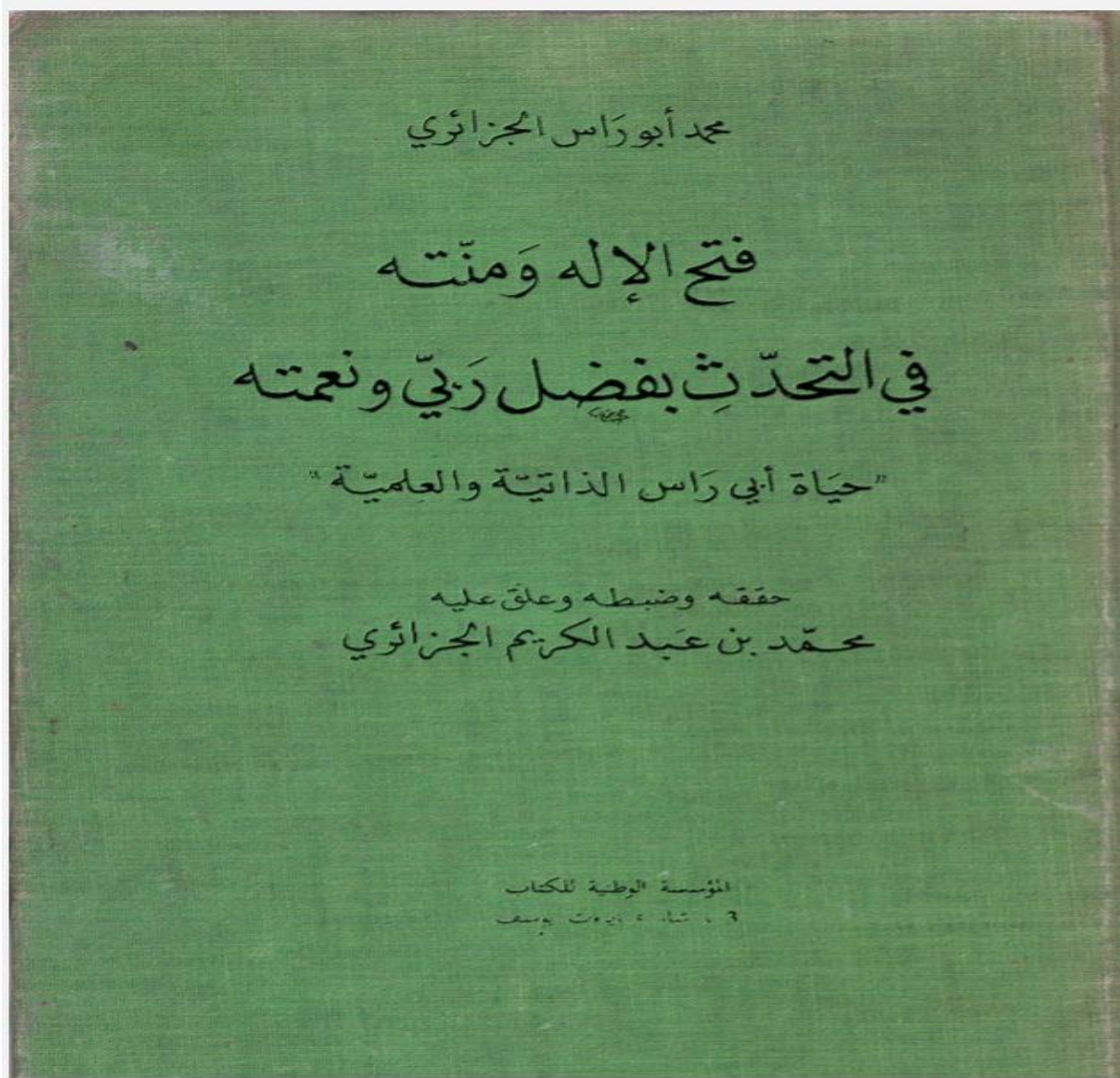
لقد مزج أبو راس في كتابه فتح الإله بين اللغة الأدبية ذات النفس السردية، واللغة العلمية ذات المرجعية الشرعية والصوفية، مما منح الكتاب طابع خاص بين السيرة الأدبية والنص العلمي. كما تأثر أسلوبه كثير بخلفيته الصوفية، حيث يكثر من استخدام العبارات التزكوية والتوسلية، ويبرز التواضع في كلامه عن الشيوخ والعلماء، واهتم كثيرا بالتفاصيل الدقيقة سواء عند ذكر الأماكن أو الشخصيات أو المجالس العلمية، نلاحظ دقة في تدوين المعلومات وتفصيلها، وهو ما يدل على وعي توثيقي قوي.

كما استعمل الأسلوب التقديرى الصريح حيث تحدث بلغة مباشرة واضحة في وصف رحلاته وحياته، ويظهر صدقه وصراحته، سواء في الحديث عن معاناته أو عن اعترافاته تجاه شيوخه وأساتذته.

كما يعتبر كتاب "فتح الإله" لأبي راس الناصري من أبرز أعماله، نظر لتميزه بطابع سيري ذاتي يكشف عن ملامح شخصيته ومسيرته العلمية والروحية، خلافا لمؤلفاته الأخرى التي يغلب عليها الطابع الموسوعي أو العقدي مثل "نيل المنى" و"الفتح الرباني". فالكتاب يقدم توثيق دقيق لتجربته في التحصيل والترحال، بأسلوب سردي حيوي يزاوج بين التوثيق والتأمل، وهو الكتاب الوحيد من إنتاجه الذي احتوى على جميع رحلاته كما ذكر فيه جميع مؤلفاته في الأخير وهذا ما يجعله مصدر فريد لفهم الحياة الثقافية والعلمية في عصره، وفي حين ركزت بقية مؤلفاته على الجدل العقدي والشرح الصوفي، تميز "فتح الإله" بحضور ذاتي قوي ولغة إنسانية تعكس وعيه العميق بعلاقة العالم بذاته ومجتمعه.

وفي الأخير يمكننا القول أن أبو راس في جمع في كتابه "فتح الإله" بين المنهج السردى الذاتي والمنهج التوثيقي العلمي، بلغة تجمع بين الصدق الشخصي والدقة المعرفية، ما يجعل عمله من أبرز النصوص الرحلية التي تعكس التفاعل بين المكان والمعرفة، والفكر والتجربة، في سياق ثقافي وعلمي جزائري غني.

الملحق رقم 2.



الصورة 1: غلاف كتاب فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته.

الملحق رقم 3.



الصورة 2: صورة العلامة محمد أبو راس الناصري العسكري.

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

- محمد أبو راس الناصري المعسكري، فتح الإله في منته في التحدث بفضل ربي ونعمته - حياة أبي راس الذاتية-، تحقيق وضبط وتعليق: محمد بن عبد الكريم الجزائري، المؤسسة الوطنية لكتاب، د ط، د ت.
- إسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح: تاج اللغة العربية والصحاح العربية، مادة (ر، ح، ل)، ج4، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1984.
- الفضل جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، مادة (ر، ح، ل)، مج: 11، دار الصادر ودار بيروت للطباعة والنشر، ط1، د ت.
- الفيروز آبادي، قاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد منعم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط8، 2005.
- مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مادة (م، ك، ن)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط5، 1436 هـ - 2011 م.

ثانياً: المراجع:

• كتب باللغة العربية:

- القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج5، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007.
- قاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 1998.
- أحمد جعفري الوغيري، دور الزوايا التواتية في حماية المقومات الوطنية إبان الفترة الاستعمارية (1830-1962)، جامعة أحمد دراية أدرار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، د ت.

- ايمان سعود أبو خضير، تطبيق إدارة المعرفة في مؤسسات التعليم العالي "أفكار وممارسات"، المؤتمر الدولي للتنمية والإدارة نحو أداء متميز في القطاع الحكومي، الرياض المملكة العربية السعودية، د ط، 2009.
- تركي رابح عامرة، أصول التربية والتعليم، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1990، ص 194.
- جميل صليبا، المعجم الفلسفي: بألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية و اللاتينية، دار الكتاب، بيروت(لبنان)، ج2، د ط، 1982.
- حسني محمد حسين، أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1983.
- الحلو عبده، معجم المصطلحات الفرنسية فرنسي عربي، المركز التربوي للبحوث والانتماء، مكتبة، لبنان، د ط، د س.
- حميد حميداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط01، 1991.
- رشيد بن يمينه، بواكير الرواية الجزائرية، دراسة تحليلية لبنية السرد في خطاب الحكاية العشاق، وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، د ت.
- سعاد دحماني، دلالة المكان في ثلاثية نجيب محفوظ، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية الآداب واللغات، 2008.
- سعيد بن سعد العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في الرحلة المغربية المعاصرة، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2006.
- سعيدوني ناصر الدين، ورقات جزائرية، دار الغريب الاسلاميبيروت، لبنان، ط2، 2000.

- سيد سليم، مع أولياء الله الصالحين، دار القصص والحكايات، كتاب الكتروني، د ب، د ت، 2019.
- شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي " التجسس آليات الكتابة، خطاب متخايل" رؤية لنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.
- صلاح الدين علي شامي، لرحلة عين الجغرافيا المبصرة، الناشر منشأة المعارف بالإسكندرية، ط2، 1999.
- عبد الستار العالي، عامر قنديلجي، المدخل في إدارة المعرفة، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2، 2009.
- عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، دار الثقافة والفنون والآداب، الكويت، د ط، 1988.
- علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب، علم الاجتماع المدرسي (بنوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية)، المؤسسة الوطنية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 2004.
- الكتاني، بن عبد الكبير عبد الحي، فهرس الفهارس والاثبات ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات، تح: حسان عباس، ج2، دار الغريب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 1982.
- مبروك مهيريس، المساجد العثمانية بوهراو ومعسكر، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2009.
- مجدي وهبة وكامل مهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط2، 1948.
- محمد بسكر، أعلام الفكر الجزائري من خلال آثارهم لمخطوطة والمطبوعة، ج2، دار كردادة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2013.
- محمد بوعزة، تحليل النص السردى، دار العربية للعلوم الناشر، الجزائر، ط1، 2010، ص 106.

- محمد عابد الجابري، التنمية البشرية في الوطن العربي، الأبعاد الثقافية والمجتمعية، سلسلة دراسات التنمية البشرية رقم 2، صادر عن اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا الاسكوا، وبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي، د ط، 1995.
- محمد فتاح، ديناميكية النص، (تنظير والانجاز)، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، المغرب، ط3، 2006.
- محمد نسيب، زوايا العلم والقرآ في الجزائر، دار الفكر العربي، بوزريعة، ط1، د ت.
- منظور نعمان دليمي، المكان في النص المسرحي، دار الكندي لنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2004.
- المهدي البوعبدلي، الحياة الثقافية بالجزائر، المجلد 3، عالم المعرفة لنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، د ت.
- مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثا 166.ية حنا مينة (حكاية بحار - الرقل - المرفأ البعيد)، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 2011.
- مؤسسة محمد راشد آل مكتوم، برنامج الأمم المتحدة الإنمائي UNDP تقرير المعرفة العربي، 2009 (نحو التواصل معرفي منتج)، شركة دار العزيز للطباعة والنشر، الامارات العربية المتحدة دبي، د ط، د ت.
- مؤيد سعيد السالم، تنظيم المنظمات-دراسة في تطوير الفكر خلال مائة عام-، دار الكتب الحديث، عمان، الأردن، د ط، 2002.
- ناصر عبد الرزاق العلوي، أوروبا في مرآة الرحلة، صورة الآخر في الرحلة المغربية المعاصرة، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1، 2006.

- ناصر عبد الرزاق المرافي، الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع هجري، دار النشر للجامعات المصرية، مكتبة الزرقاء، ط1، 1995.
- ناصر عبد الرزاق المرافي، ادب الرحلات عند العرب حتى نهاية القرن الرابع هجري، دار النشر للجامعات المعربة، ط1، 1995.
- ودان بوغوفالة، الثورة الفرنسية في الأسطوغرافيا المغربية، دراسة تاريخية تحليلية في نماذج من تحليلية في نماذج كتابات القرن 19، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2004.
- يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج2، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين ميله، الجزائر، 2009.

• كتب مترجمة:

- غاستون باشلار، جماليات الصورة تر : غادة الإمام، التنوير لطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان،

ثالثا: الأطروحات والمذكرات:

• المذكرات:

- أحمد بحري، حاضرة مازونة دراسة تاريخية وحضارية في العصر الحديث 1500-1900م، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارات الإسلامية، جامعة وهران، 2013/2012.
- أحمد مراد محمود الدسوقي، الأماكن الدينية في روايات يافوز بهاديرأوغلو، رسالة الشروق، د ت، ص 240.
- أسماء عمارة، مدينة فاس النشأة والتطور من خلال العصرين الادريسي والمريني، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2019/2018.

- إسمهان مزيان، التراث الشعبي في رواية سيد الخراب، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، جامعة محمد خيضر، كلية الآداب واللغات الأجنبية، قسم اللغة العربية، 2016/2015.
- بثينة شيباني (بتصرف) ، التواصل العلمي في رحلة أبي راس المعسكري المعنونة ' فتح الإله ومنته في التحدث بفضل الله ربي ونعمته'، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، كلية الآداب واللغات الأجنبية، قسم الأدب العربي، 2018/2017.
- بلبروات، بن عتو، الباي محمد الكبير ومشروعه الحضاري، 1797/1779، رسالة ماجستير جامعة وهران، الجزائر، 2002/2001.
- بلعربي عبد القادر، أبو راس الناصري ورحلاته الغربية والمشرقية أواخر العهد العثماني، مجلة الأفاق فكرية، المجلد 10، العدد 1، 2022.
- جميلة روباش، أدب الرحلة في المغرب العربي، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب ولغة العربية، 2015/2014.
- خالدية بن شرقية، سيهام بن نافلة، أدبية الرحلة في فتح الإله ومنته لأبي راس الناصري المعسكري، مذكرة مقجمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، جامعة ابن خلدون تيارت، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية والآداب العربي، 2019/2018.
- خديجة شرقي، أبعاد التراث في الرواية الجزائرية المعاصرة " الممرضة الثائرة" ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، جامعة أحمد دراية أدرار، ككلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2016/2015.

- ركيبي العيد، المسجد بين الأصالة والمعاصرة، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم التكنولوجيا وقسم الهندسة المعمارية، 2021/2020.
- رمضان عبده علي، تاريخ مصر القديم، ج1، دار النهضة الشرق، القاهرة، د ط، 2001.
- رينهارت دوزي، تكملة المعاجم العربية، تر: محمد سليم النعميمي، ج5، دار الرشيد لنشر، بغداد، د ط، 1980.
- زردومي إسماعيل، فن الرحلة في الأدب المغربي القديم (أطروحة دكتوراه دولة في الأدب القديم،) جامعة الحاج الأخضر، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة وآدابها، باتنة، دت.
- زوبيدة بلردع وفتحية عيساوي، أدب الرحلة في الجزائر، رحلة ابن حمادوش أنموذجا، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، كلية الأدب واللغات، قسم الأدب العربي، 2016/2015.
- زياني أسماء، المساجد ودورها في المجتمع، جامعة أكلي محند أولحاج، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم الشريعة، تقرير تربص للسنة الثالثة ليسانس، 2020/2019.
- سميرة انساعد، أدب الرحلات الحجازية النثرية في الجزائر من القرن الحادي عشر هجري (القرن 17/19)، بحث لنيل شهادة ماجستير، معهد اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر، 2001/2000.

- عبد الجليل شقرون، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة الى الحبيب 4 لابن عمار ابي العباس سيدي أحمد دراسة وتحقيق، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في تحقيق المخطوطات، جامعة تلمسان، 2017/2016
- عبد الحق رزيوح، أبو راس الناصري ومؤلفاته، مجلة التراث العربي، العدد 98، دمشق سوريا، أفريل 2005.
- عبد الصمد بلية، عبد النور العمالي، دور أبي راس الناصري في كتابة التاريخ خلال العهد العثماني، جامعة أكلي محند أولحاج، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية قسم تاريخ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، 2024/2023.
- عبد القادر بكاري، منهج الكتابة التاريخية عند المؤرخين الجزائريين في العصر العثماني (1519-1830)، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، جامعة وهران، 2016/2015.
- عبد الله وليد المدلل، تطبيق إدارة المعرفة في المؤسسات الحكومية الفلسطينية وأثرها على مستوى الأداء، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، جامعة الإسلامية بغزة، كلية التجارة، إدارة الأعمال، غزة، فلسطين، دط، 2012.
- عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات العربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في قوانين السابع والثامن الهجريين: دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، د ط، 1996.
- فتحية داودي ورده عبد الهاب، بنية المكان في رواية انت لي لمنى مرشود، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر أكاديمي، جامع غرداية، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية، 2020/2019.

- مجدي نويري (بتصرف)، محددات أنماط القيادة المساعدة في نقل المعرفة دراسة حالة مؤسسة البريد (المسيلة)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، 2010/2011.
- معاشية نفيسة، الجرات العربية الى بلاد الشام في العهد الأموي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر، جامعة 8 ماي قالمة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2018/2019.
- المنجد في اللغة العربية والاعلام، دار المشرق، نقلا عن زيد الخير حورية، الفلسفة وحلم إقامة مجتمع المعرفة الوطن العربي أنموذجا، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، 2022/2023.
- نادية عبيد(بتصرف)، أبو راس الناصري (1737-1823) حياته وآثاره، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر ، جامعة محمد خيضر بسكرة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم العلوم الإنسانية، 2016/2017.
- ياسمينه شرابي، الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، نماذج من الرحلات لقرن العشرون، مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، جامعة أكلي محند أولحاج، كلية الأدب واللغات قسم اللغة والأدب العربي، 2012/2013.
- يحي بوعزيز(بتصرف)، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج2، عالم المعرفة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص 236/237.

رابعاً: المجالات والملتقيات.

- أبو القاسم سعد الله، الحملة الفرنسية على مصر والشام في رأي المؤرخ أبي الراس الجزائري، في المجلة التاريخية المغربية، العدد 21-22، تونس أفريل 1981.

- إسماعيل دردوحي، تقنيات السرد في رحلة فيض العباب وإفاضة قدام الآداب، كلية العلوم الإنسانية جامعة محمد خيضر بسكرة العدد5، 2005.
- أشرف صالح سيد، المراكز الثقافية في دار السلطان الجزائر أواخر العهد التركي، مجلة أماراباك، المجلد4، العدد7، 2013.
- بلعربي عبد القادر، أبو راس الناصري ورحلاته المغربية والمشرقية أواخر العهد العثماني، مجلة لآفاق فكرية، المجلد10، العدد01، جاعة قسنطينة3، ماي 2022.
- بن بوزيان عبد الرحمان، محطات من التاريخ السياسي ولحضاري لمدينة فاس منذ النشأة الى بداية عهد الحماية، مجلة قرطاس الدراسات الفكرية والحضارية، المجلد8، العدد1، 2021.
- خديجة موصدوق، مخطوط الابريزلابن راص الناصري المعسكري، المجلة الجزائرية للمخطوطات، المجلد1، العدد6، جامعة وهران.
- طيب حمديد، حدود المكان المعرفية، مجلة مقامات، المجلد5، العدد2، جامعة الجليلي اليابس سيدي بلعباس، 2021.
- عبد الباسط بدر، أدب الرحلات، مجلة الأدب الإسلامي، رابطة الأدب الإسلامي العتلمي، بيروت، م1، العدد3، 1994.
- عبد الحق زرويح، أبوراس الناصري، مجلة التراث الالعربي، العدد98، دمشق سوريا، أفريل 2005.
- محمد باي بلعالم، أهداف نشأة الزوايا وواقعها في المنطقة (الملتقى الوطني الأول للزوايا بأدرار أيام 01.02.03. ماي، 2000.
- مختار بونقاب، من علماء الجوزائر الشيخ أبو راس الناصر، مجلة المواقف والدراسات في المجتمع والتاريخ، المجلد19، العدد01، جوان 2023.

خامسا: المواقع الالكترونية.

— محمد عبيد الله (بتصرف)، أدب الرحالات...تجوال مغامر نحو التثاقف والمعرفة، الجزيرة،

aljazeera.net.

— معالم في المدينة المنورة، هيئة تطوير المدينة المنورة، mou.mad.gov.sa.

الفهرس

فهرس المحتويات.

الصفحة	الشكر والتقدير
2	الشكر والتقدير
3	الإهداء
أ. ب	مقدمة.
13	الفصل الأول: الإطار النظري والتاريخي.
14	المبحث الأول: أدب الرحلة وتداخل المكان والمعرفة.
14	المطلب الأول: مدخل إلى أدب الرحلة.
21	المطلب الثاني: العلاقة بين المكان والمعرفة.
22	المبحث الثاني: أبو راس ومسيرته الرحلية.
28	المطلب الأول: السيرة الذاتية لأبي راس وأهدافه من الرحلة.
33	المطلب الثاني: أثر رحلاته في الأدب العربي.
41	الفصل الثاني: تفاعل المكان والمعرفة في رحلات أبي راس.
54	المبحث الأول: المكان كفضاء معرفي في نصوص أبي راس.
55	المطلب الأول: الأمكنة الدينية.
59	المطلب الثاني: الأمكنة العلمية.
71	المطلب الثالث: الأمكنة الاجتماعية.

76	المبحث الثاني: المعرفة في النص الرحلي لأبي راس.
76	المطلب الأول: المعرفة الدينية.
82	المطلب الثاني: المعرفة العلمية.
88	المطلب الثالث: المعرفة الاجتماعية والثقافية.
93	الخاتمة.
96	الملاحق.
102	قائمة المصادر والمراجع.
116	الفهرس.

المخلص:

سلّط هذا البحث الضوء على العلاقة التفاعلية بين المكان والمعرفة في سياق الرحلات التي قام بها العلامة أبو راس الناصري المعسكري، مستند إلى مقارنة تحليلية لنصوصه الرحلية، من خلال كتاب فتح الإله. وقد تمحورت الدراسة حول أدب الرحلة باعتباره خطاب ثقافي يعكس تداخل التجربة الذاتية بالفضاء الجغرافي.

تناولنا الإطار النظري والتاريخي في الفصل الأول حيث توقفنا عند تعريف أدب الرحلة وخصائصه، كما تطرقنا إلى سيرة أبي راس، مع إبراز الأهداف التي دفعته للترحال ومدى تأثير رحلاته في الأدب العربي، أما الفصل الثاني، فقد خصص لدراسة تفاعل المكان والمعرفة في نصوصه الرحلية، حيث قمنا بتقسيم الفضاءات إلى دينية، علمية، واجتماعية، كما عالجتنا مظهرات المعرفة في كتاباته، سواء الدينية منها أو العلمية والثقافية.

وقد خلص البحث إلى أن الرحلة عند أبي راس لم تكن مجرد تنقل جغرافي، بل منهج للمعرفة، وأداة لتوسيع المدارك، وبناء الوعي الديني والثقافي، وفي المجمل إن رحلات أبي راس تعد نموذج أصيل للتداخل بين الجغرافيا والعلم، وبين الذات والمجتمع، في سياق تقاطع الثقافة الدينية بالثقافة الرحلية.

Summary

This research shed light on the interactive relationship between place and knowledge in the context of the journeys made by the scholar Abu Ras al-Nasiri al-Ma'askari, based on an analytical approach to his travel texts, through the book Fath al-Ilah. The study revolved around travel literature as a cultural discourse that reflects the intersection of personal experience with geographic space.

In the first chapter, we addressed the theoretical and historical framework by defining travel literature and its characteristics. We also explored the biography of Abu Ras, highlighting the goals that motivated him to travel and the extent to which his journeys influenced Arabic literature. As for the second chapter, it was dedicated to studying the interaction between place and knowledge in his travel texts, where we classified the spaces into religious, scientific, and social domains, and we analyzed the manifestations of knowledge in his writings—whether religious, scientific, or cultural.

The research concluded that travel for Abu Ras was not merely a geographical movement but a method of acquiring knowledge, expanding awareness, and building religious and cultural consciousness. Overall, the journeys of Abu Ras constitute an authentic model of the interconnection between geography and knowledge, and between the self and society, within a context where religious culture intersects with travel culture.